جامعـــة الأزهـــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم

مشكل القرآن عنـد أبـي حفص النسفي في تفسيره

(دراسة نظرية تطبيقية)

إعداد

د أمونة جابو عبده جدة

دكتوراه بقسم القرآن وعلومه-كلية الشريعة
جامعة القصيم

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٥هـ يونيو ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي ٢٩٧٤-٤٦٦٠ I.S.S.N و ٢٩٧٤-٤٦٧٩ The Online ISSN

مشكل القرآن عنـد أبي حفص النسفي في تفسيره
(دراسة نظرية تطبيقية)

أمونة جابو عبده جدة

دكتوراه بقسم القرآن وعلومه-كلية الشريعة، جامعة القصيم، السعودية.

الإيميل: samaa١٢٢٢@hotmail.com

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة مشكل القرآن عند أبي حفص النسفي في تفسيره التيسير في التفسير، وأثره فهم القرآن الكريم، وتحقيقاً لهذا الهدف قسمت الرسالة إلى مقدِّمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة.

فالمقدمة اشتملت على قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وقسمين وخاتمة وفهارس، كالآتي: المقدمة: وفيها بيان مشكلة البحث وأهمية الموضوع، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته، وخطته وتحليل لأهم الكتابات السابقة في مشكل القرآن.

وتناولت الدراسة في التمهيد: أولاً: التعريف بالنسفي وتفسيره التيسير. وثانيًا: مفهوم المُشكل في التفسير.

وتناولت الدراسة في القسم الأول: مشكل القرآن عند النسفي، دراسة نظرية، وفيه أربعة فصول:

في الفصل الأول منهج النسفي في المشكل والجواب عنه، وفي الفصل الثاني: أنواع المشكل عند النسفي في تفسيره، وفي الفصل الثالث: القيمة العلمية للمشكل عند النسفي، الفصل الرابع: مقارنة المشكل عند النسفي مع المشكل عند الواحدي.

ثم في القسم الثاني: تناولت الدراسة المشكل عند النسفي في تفسيره التيسير في التفسير (من أول القرآن الكريم إلى آخره) بحسب ترتيب المصحف، حسب ما هو مذكور في الإجراءات الخاصة.

وجاء في نهاية الرسالة خاتمة اشتملت على إجمال لأهم نتائجها، وتوصياتها.

الكلمات المفتاحية: مشكل–نظرية–تطبيقية–النسفي–حفص–القرآن.

The problem of the Qur'an according to Abu Hafs Al-Nasafi) d ٥٣٧ .AH (in his interpretation of facilitation in interpretation) Applied Theoretical Study

Amoonah Jabu Abdo Jeddah
Department of Quran and its Sciences ,College of Sharia , Qassim University ,Saudi Arabia

Email: samaa١٢٢٢@hotmail.com

Abstract:

This research aims to study the problem of the Qur'an when Abu Hafs Al-Nasafi in his interpretation of facilitation in interpretation ,and its impact on understanding the Holy Qur'an ,and to achieve this goal the message was divided into an introduction ,a preface ,two sections ,and a conclusion .The introduction included the research divided into an introduction , a preface ,two sections ,a conclusion and indexes ,as follows: Introduction: It contains a statement of the research problem and the importance of the subject ,its objectives ,limits , previous studies ,research methodology ,procedures ,plan and analysis of the most important previous writings on the problem of the Qur'an .The study dealt with in the introduction: First: the definition of Nasafi and its interpretation of facilitation .Second: the concept of the problem in interpretation .The study dealt in the first section: the problem of the Qur'an according to Al-Nasafi ,a theoretical study ,and

it has four chapters: In the first chapter ,Al-Nasafi's approach to the problem and the answer to it ,in the second chapter: the types of the problem according to Al-Nasafi in its interpretation ,and in the third chapter: The scientific value of the problem according to Al-Nasafi ,and the fourth chapter: Comparing the problem according to Al-Nasafi with the problem according to Al-Wahidi .Then in the second section: the study dealt with the problem of Al-Nasafi in his interpretation of facilitation in interpretation) from the beginning of the Holy Qur'an to the end (according to the order of the Qur'an ,as mentioned in the special procedures .At the end of the letter ,there was a conclusion that included a summary of its most important findings and recommendations .

Keywords: The problem of the Qur'an-Al-Nasafi-facilitation in interpretation.

مقدمة

الحمد لله الذي نوَّر بالقرآن القلوبَ، وأنزلهُ في أعجزِ أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله المصطفى، ونبيُّه المرتضى، معلم الحكمة، وهادي الأمة، صلَّى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد،،

فقد أنزل الله تعالى كتابه قرآناً عربيًا غير ذي عوج، وقال عنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت/٤٢]، وقد خُلق الإنسان وجُبل على الضعف؛ لذا فإنَّ بعض العقول نتيجة لهذا الضعف قد تعجز عن فهم معنى آيةٍ، وتتشابه عليها أخرى وتُشكل، أو يظهر لها تعارضاً مع نصوصٍ سواها، وكتاب الله حق وصدق لا شكَّ فيه، ولا إشكال ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة الأنعام: ١١٥].

وقد وجد الطاعنونَ والمشككونَ مدخلاً للقول في آيات القرآن من هذا الباب، زاعمين تعارضها وتناقضها واختلافها؛ بأفهامٍ كليلةٍ، وأبصارٍ عليلةٍ، فقيَّض الله لكتابه في كل عصرٍ أمناءَ ملَّة، وعلماء أمَّة؛ للذود عن حياضه؛ فأزالوا الشُّبه، وبينوا المشكل في ثنايا تفاسيرهم، ودحضوها بما فتح الله عليهم من علمٍ وفقه، وكان منهم العلامة المفسِّر اللغوي: أبو حفص، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي الحنفي (ت ٥٣٤هـ)، الذي يُعدُّ تفسيره: (التيسير في التفسير) من الأمهاتِ التي حوت فنونَ التفسير، فجاء جامعًا للفرائد، قد خُطَّ بيد دربةٍ خبيرةٍ؛ فمؤلفه قد فاق أقرانه علمًا وفضلاً، قال عنه الأدنه وي: "كان إمامًا فاضلاً، أصوليًا، متكلمًا، مفسراً، مُحدثًا، فقيهًا، حافظًا، نحويًا، لغويًا، ذكيًا، فطناً، أحد

الأئمة الأربعة المشهورين بالحظ الوافر من العلوم والقبول التام عند الخاص والعام، وكان أستاذًا؛ نشر العلوم إملاءً وتذكيرًا" [طبقات المفسرين، ص ١٧١].

وكان قد اعتنى في تفسيره بإيراد المشكل والجواب عنه بأجوبةٍ واضحة، وتميَّز عرضه لها بسعة الأفق، والدقة، وغزارة العلم، والتي تُكسب طالب العلم توسيعًا لمداركه، وصقلاً وإثراءً لخبراته.

ولما لعلم مشكل القرآن من أهمية بالغة، وما لقيمة كتاب أبي حفص النسفي في علم المشكل؛ فقد رغبتُ في جمع ودراسة تلك الإشكالات التي أوردها في تفسيره، فاستخرت الله، ثم استشرتُ ليكون موضوعًا لرسالتي لنيل درجة الدكتوراه في القرآن الكريم وعلومه، وجعلت عنوانها:

(مشكل القرآن عند أبي حفص النسفي في تفسيره-دراسة نظرية تطبيقية).

والله الكريم أسأل أن يجعلهُ بحثًا مباركًا، وأن ينفعني به، وينفعَ به، فهو حسبي ونعم الوكيل.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

س ١-ما منهج النسفي في ذكر المشكل والإجابة عنه؟

س ٢-ما أنواع المشكل عند النسفي؟

س ٣-ما القيمة العلمية للمشكل عند النسفي؟

س ٤-ما الفرق بين المشكل عند النسفي والمشكل عند الواحدي؟

س ٥-ما المواضع التي ذكرها النسفي في المشكل، وكيف يُدرس كل موضع دراسة تحليلية مقارنة؟

أهمية البحث:

تبرزُ أهمية اختيار هذا البحث وأثره في علم التفسير في النقاط الآتية:

١- ارتباط علم المشكل بعلوم كثيرة؛ كالتوحيد، واللغة، وأصول الفقه، والقراءات، وهذا مما يوسع الفكر، ويُقوّي الباحث، ويُظهر ارتباط العلوم بعضها ببعض.

٢- اكتساب الملكة النقدية وتقويتها؛ نتيجة عرض الأقوال وموازنتها ودراستها والترجيح بينها، والتمييز بين قويّها وضعفيها.

٣- كون هذا الموضوع لم يسبق إليه أحد، مع ملاحظة أنَّ النسفي أوْلى مشكل القرآن الاهتمام والعناية، وأطال النفَس في كشفه ودفعه.

٤- المكانة العلمية لأبي حفص النسفي فهو من العلماء المحققين، المتقدمين المعاصرين لكبار المفسرين أمثال: الزمخشري.

٥- الحاجة لإبراز مسالك النسفي في دفع الإشكال وردِّه؛ لكونه ناقدًا محررًا يُرجح بين الأقوال في أجوبة المشكل ويستدلُّ لها.

٦- علوّ كعب النسفي في علم التفسير؛ مما يجعل لآرائه، وأقواله، واختياراته قيمة معتبرة.

أهداف البحث:

١- بيان منهج النسفي في ذكر المشكل والإجابة عنه.

٢- الوقوف على أنواع المشكل في تفسير النسفي.

٣- بيان القيمة العلمية للمشكل عند النسفي.

٤- ذكر الفروقات بين المشكل عند النسفي والمشكل عند الواحدي.

٥- بيان المواضع التي ذكرها النسفي في المشكل، ودراسة كل موضع دراسة تحليلية.

الدراسات السابقة:

الدراسات التي ذكرت موضوع المُشكل على ثلاثة أنواع:

الأول: الدراسات التأصيلية في علم المشكل:

مؤلفات أفردت المشكل بالتصنيف من الناحية النظرية، فتناولت تعريفه، وأسبابه، وأنواعه، وضبطت مسائله، ومنها:

١- **مشكل القرآن الكريم**، للباحث: عبد الله بن حمد المنصور، رسالة ماجستير، في قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ.

٢- **المشكل وأثره في منهج فهم القرآن الكريم**، للباحث: رياض مفضي صيتان الشرعة، رسالة ماجستير، قسم أصول الدين، جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م.

٣- **موهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم**، للباحث: ياسر بن أحمد الشمالي، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ.

الثاني: دراسة مشكل القرآن عند مفسر ما، ومنها ما يلي:

١- أجوبة الزجَّاجي (ت ٣٣٧ هـ) فيما استشكل من القرآن الكريم، جمعًا ودراسة، مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير، تخصص التفسير والحديث، إعداد الباحثة: أسماء بنت عبد العزيز قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود ١٤٣٩-١٤٤٠هـ.

٢- مشكل القرآن عند أبي الليث السمرقندي (ت ٥٧٣ هـ) في تفسيره جمعًا ودراسةً، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الماجستير، إعداد الباحث: هاني بن متعب العنزي، جامعة الملك سعود، تخصص التفسير والحديث، بقسم الدراسات الإسلامية، ١٤٣٨-١٤٣٩هـ.

٣- الإشكالات التي أجاب ابن جرير الطبري عنها في تفسيره، جمعًا ودراسة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، إعداد

الباحث، عبد الملك إبراهيم عبد الله الأهدل، جامعة أم القرى ١٤٣٨-١٤٣٩هـ.

٤- مشكل القرآن الكريم عند الإمام السمعاني (ت ٤٨٩هـ) في تفسيره جمعاً ودراسة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، للباحثة: منال بنت عبد الرحمن الجمعة، كلية التربية، بجامعة الملك سعود، عام: ١٤٣٧-١٤٣٨هـ.

٥- مشكل القرآن الكريم عند الواحدي (ت ٤٦٨هـ) في تفسيره البسيط جمعاً ودراسة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، للباحث: سلطان بن صغير بن نايف العنزي، كلية القرءان الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام: ١٤٣٤-١٤٣٥هـ.

٦- مشكل القرآن الكريم عند الإمام السُّهَيْلي، جمعاً ودراسة، بحث ماجستير، للباحثة: نورا بنت سليم الحارثي كلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، قسم التفسير والحديث، عام: ١٤٣٩-١٤٤٠هـ.

الثالث: الدراسات السابقة المتعلقة بالنسفي:

١- منهج أبي حفص النسفي في التفسير، للباحث: علي أحمد علي العتوم، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الاردن كلية الشريعة، ٢٠٢٠.

٢- مصادر القراءات عند الإمام النسفي وأثرها في تفسيره (التيسير في التفسير)، للباحثة: زينب عبد الرزاق الرعود، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن، ٢٠٢١م ١٤٢٢هـ.

٣- علوم القرآن عند أبي حفص النسفي في كتابه التيسير في التفسير (جمعاً ودراسة)، الباحثة: أمل الفايدي، رسالة دكتوراه، سجلت بجامعة الملك عبد العزيز عام ١٤٤١هـ.

٤- الاستنباط عند أبي حفص النسفي في تفسيره التيسير (دراسة منهجية وصفية)، للباحثة: معتوقة بنت رزق الله بن أحمد الثبيتي، خطة مقدمة لتسجيل رسالة الماجستير في القرآن وعلومه، جامعة القصيم ١٤٤٣هـ.

حدود البحث:

يتناول البحث دراسة جميع الآيات المشكلة التي وجّهها النسفي، ويدخل فيها ما جاء منها بصيغة سؤال أو جاء بصيغة الفنقلة (وهي قول المفسر: وإن قالوا: قلنا) ونحوها.

منهج البحث

بما أن البحث الذي اخترته ينقسم بشكل عام إلى قسمين: (نظري وتطبيقي)، فسوف أسلك **المنهج الوصفي** في القسم النظري، وذلك بالقيام بتحليل منهج النسفي في المشكل، واستخراج أنواعه وطرقه وأسبابه، ومقارنة ذلك ببعض المفسرين الآخرين.

أما في القسم التطبيقي، فسوف اتبع المنهج **التحليلي المقارن**، وذلك باستقراء وجمع كل مواضع المشكل، ودراستها دراسة تفصيلية مقارنة بالمفسرين الآخرين، مع ذكر الراجح قدر المستطاع.

إجراءات البحث:

أولا: الإجراءات الخاصة بالقسم التطبيقي:

١- استخراج المشكل الذي ذكره النسفي في تفسيره كاملًا مرتباً حسب وروده في تفسيره.
٢- إيراد نص كلام النسفي المتعلق بالمشكل عند كل آية أوردها في تفسيره.
٣- وضع كل إشكال في مسألة مستقلة.
٤- تحرير محل الإشكال ومنشئه.
٥- ذكر إجابة النسفي عن الإشكال، واعتبار قوله هو القول الأول في المسألة في حال اختلافه مع غيره، ثم ذكر الأقوال الأخرى للمفسرين بعد ذلك.

٦- تحليل إجابة النسفي للمشكل ودراستها، ومدى موافقتها للأدلة والبراهين.
٧- دراسة هذه الموضوعات بالرجوع إلى كتب التفسير، وكتب المشكل وما يتعلق بها، مع توضيح الوجوه الأخرى التي أجاب المفسرون بها عن الإشكال ودراستها دراسة نقدية.
٨- كتابة ملخص للدراسة، بذكر الراجح من الأقوال في دفع الإشكال، وبيان هل يندفع الإشكال بما أجاب به النسفي أم لا.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وقسمين، القسم الأول أربعة فصول، والقسم الثاني: الدراسة التطبيقية وفيها مسائل، وخاتمة ، كالآتي: المقدمة: وفيها بيان مشكلة البحث وأهمية الموضوع، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد وفيه:

الأول: التعريف بالنسفي وتفسيره التيسير.

الثاني: مفهوم المُشكل في التفسير.

- **الفصل الأول: منهج النسفي في المشكل والجواب عنه، وتحته ثلاثة مباحث:**
  - **المبحث الأول**: منهج النسفي في عرض المُشكل.
  - **المبحث الثاني:** منهج النسفي في الجواب عن المشكل.
  - **المبحث الثالث**: صيغ المشكل عند النسفي.
- **الفصل الثاني: أنواع المشكل عند النسفي في تفسيره، وتحته تسعة مباحث:**
  - **المبحث الأول: المُشكل على فواتح السور**
  - **المبحث الثاني: المشكل على العقيدة.**
  - **المبحث الثالث: المشكل على القراءات.**

- المبحث الرابع: المشكل على الأمثال في القرآن.
- المبحث الخامس: المُشكل على المناسبات.
- المبحث السادس: المشكل على التكرار في القرآن.
- المبحث السابع: المشكل على الأحكام في القرآن.
- المبحث الثامن: المشكل على اللغة والمعاني واستعمال العرب.
- البحث التاسع: المشكل على النحو.

- **الفصل الثالث: القيمة العلمية للمشكل عند النسفي، وتحته أربعة مباحث:**
  - المبحث الأول: مزايا المشكل عند النسفي.
  - المبحث الثاني: المآخذ على المشكل عند النسفي.
  - المبحث الثالث: مصادر المشكل عند النسفي.
  - المبحث الرابع: أثر المشكل عند النسفي فيمن بعده.
- **الفصل الرابع: مقارنة المشكل عند النسفي مع المشكل عند الواحدي، وفيه أربعة مباحث:**
  - المبحث الأول: المقارنة بينهما من حيث عدد الإشكالات.
  - المبحث الثاني: المقارنة بينهما من حيث طريقة عرض المشكل والجواب عنه
  - المبحث الثالث: المقارنة بينهما من حيث صيغ المشكل.
  - المبحث الرابع: المقارنة بينهما من حيث أنواع المشكل.

القسم الثاني: مشكل القرآن عند النسفي، دراسة تطبيقية:

وتشمل دراسة المشكل عند النسفي في تفسيره التيسير في التفسير (من سورة الفاتحة والبقرة) بحسب ترتيب المصحف، وفيه عدة مسائل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

المطلب الأول: ترجمة موجزة للنسفي

أولاً: اسمه ونسبه:

هو عُمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن لُقمانَ النَّسَفي، ثم السَّمرقنديّ الحنفي، يُكنى بأبي حفص، وكان يُلقب بالإمام الزاهد الحافظ، ونجم الدين، ومفتي الثقلين(١)

وقد اتفقت كتب التراجم والطبقات على اسمه، واسم أبيه، وجده.

ثانياً: مولده ونشأته:

اتفق المؤرخون على أنه وُلِد بنسف(٢)، وعليه هو من الأعاجم من بلاد ما وراء النهر، واختلف في السنة التي ولد فيها الإمام، فقيل: في سنة إحدى أو اثنتين وستين وأربعمئة(٣)،

سكن سمرقند، ولم يُنقل عن نشأته ورحلاته عن سمرقند الشيء الكثير، إلا أنَّه نشأ وتعلم في نسف، ورحل في طلب العلم، وقدم بغداد حاجاً في سنة سبع

---

(١) قيل إنه كان يعلم الإنس والجن؛ ولذلك قيل له مفتي الثقلين. الفوائد البهية في تراجم الحنفية: (ص١٥٠).

(٢) نَسَفُ: بفتح أوله وثانيه ثم فاء: هي مدينة كبيرة كثيرة الأهل، بين جيحون وسمرقند، خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم في كل فن، وهي نخشب نفسها، بما وراء النهر. يُنظر: معجم البلدان: (٥/ ٢٨٥)، و(٣/ ١٦٤).

والان هي مدينة في جنوب أوزبكستان. وهي عاصمة ولاية قاشقادرى.

(٣) يُنظر: التحبير في المعجم الكبير: (١/ ٥٢٩)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية: (١/ ٣٩٤).

وخمسمائة، وسمع من أبى القاسم ابن بيان وغيره، وحدَّث بكتاب «تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار» من جمعه وتأليفه(١).

وقد كان مُعاصرًا للزمخشري(٢)، حتى ذكرت عنه قصة تشهدُ على هذه المعاصرة، وفيها شيء من الطرفة حيث: ((أراد أن يزور جار الله العلامة الزمخشري في مكة، فلما وصل إلى داره دقَّ الباب ليفتحوه ويأذنوا له بالدخول، فقال الشيخ: من ذا الذي يدق الباب؟ فقال: عمر. فقال جار الله: انصرف، فقال نجم الدين: يا سيدي: عمر لا ينصرف، فقال الشيخ: إذا نُكِّر ينصرف))(٣)، ولا يُعلم هل جرى هذا اللقاء بينهما أم لا، والظن بأنَّها كانت مداعبة من الزمخشري، ومن ثم أدخله وجرى اللقاء بينهما.

والناظرُ في أخبار وعلوم سمرقند-مسكنه-حينئذ يجدها من أجلِّ البلاد وأعظمها، وأوفرها علماءً، وبرهان ذلك كتاب النسفي: «القَنْد في ذكر علماء سمرقند» (٤). وكانت مركزاً من مراكز العلم، وفيها يُصنع ورق الكتابة ذو الجودة الفائقة، وبه اشتهرت.

---

(١) يُنظر: تاريخ بغداد وذيوله: (٢٠/ ٩٩)، ولسان الميزان: (٤/ ٣٢٧)، ومعجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: (١/ ٣٩٩).

(٢) محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، النحوي، اللغوي، المتكلم، المفسر. يُلقَّب بجار الله؛ لأنه جاور بمكة زمانًا. من تصانيفه، الفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة، والأسماء والأفعال، وكتاب البلدان، وتوفي في ليلة عرفة من سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. يُنظر: تاريخ بغداد وذيوله: (٢١/ ١٧٢).

(٣) يُنظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: (١/ ٣٩٤ -٣٩٥).

(٤) كتاب القند في ذكر علماء سمرقند: مرجع هام لحوالي (١٢٣٢).

ثالثاً: شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

تتلمذ النسفي على عدد كبير من شيوخ وعلماء عصره، الذين أثّروا في تكوينه العلمي

وقد جمع النسفي أسماء مشايخه في كتاب، فبلغوا (خمسمائة وخمسة وخمسين شيخًا) (١)، ولم يذكر أصحاب التراجم والسِّير إلا النزر اليسير منهم، ومنهم: **أبو محمد إسماعيل بن محمد النوحي النسفي** (٢) **وأبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين البزدوي**(٣)، **وأحمد بن عبد الله بن يوسف بن الفضل الصبغي**: (٤)

ثانيًا: تلاميذه:

تتلمذ على يدي النسفي خلقٌ كثير؛ لكثرة تصانيفه، ومنهم:

١- ابنه: أبو الليث أحمد بن عمر النسفي (٥) و أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرِ بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني(٦). وغيرهم.

رابعاً: عقيدته:

كان –رحمه الله-من الماتريدية، على منهج أبي منصور الماتريدي، وقد أكثرَ

---

(١) يُنظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول: (٢/ ٤٢١)، والبدور المضية في تراجم الحنفية: (١٢/ ٣٩٣).

(٢) التحبير في المعجم الكبير: (١/ ٥٢٨).

(٣) التحبير في المعجم الكبير: (١/ ٥٢٨).

(٤) يُنظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: (١/ ٧٣).

(٥) سير أعلام النبلاء: (٢٠/ ١٢٧).

(٦)يُنظر: تاريخ اربل: (٢/ ٥٩٢، ٥٩٣)..

من النقل عنه في تفسيره، فقد نقل عنه في أكثر من (٦٠٠) موضع، تارةً يذكره باسمه، وتارةً باسم كتابه، وله في نفسه تقديرٌ ومكانة خاصة، ففي مواضع من كتابه يصفه (بالإمام) ،

خامساً: مذهبه الفقهي:

كان النسفي حنفي المذهب (١) غير متعصب لمذهبه، وشاهد هذا بأنه مُترجمٌ له في كتب الحنفية (٢)، وكذلك مشايخه كانوا من علماء الحنفية، وهو كما نرى في تفسيره لم يقفِ عند الأحكام الفقهيةِ كثيرًا، بل كان يُشير إليها دونَ التوسُّع فيها، ثم الإحالةَ إلى كتب الفقه بشكلٍ عامٍّ، أو يخصص بعضَ كتبه التي ألَّفها في الفقه، وهو في الغالبِ يكتفي بعرضِ أقوال أئمَّةِ مذهبه أبي حنيفةَ وأبي يوسفَ ومحمد بن الحسن وزُفَرَ، مع الإشارةِ أحيانًا لاختلافهم(٣).

سادساً: مكانته عند العلماء:

هو عالم عصره، وفقيه زمانه، ملأت تصانيفه طباق الأرض، وقد بلغت ما يقارب المئة في فنون وألوان شتى من العلم، منها: التفسير والفقه واللغة وغيرها، ويكفيك في بيان مكانته وفضله تتلمذ كبار علماء عصره عليه، وقد أثنى عليه من عاصره أو جاء بعده، وعلى مؤلفاته، فمنهم:

اللكنوي حيث يقول: ((كان إمامًا فاضلًا أصوليًا متكلمًا مفسرًا محدثًا فقيهًا حافظًا نحويًّا، أحد الأئمة المشهورين بالحفظ الوافر، والقبول التام عند الخواص

(١) يُنظر مقدمة كتاب القند في ذكر علماء سمرقند للنسفي: (ص/٩).
(٢) من هذه المؤلفات: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، والبدور المضية في طبقات الحنفية.
(٣) يُنظر: التيسير في التفسير: (المقدمة/ ١٢٦).

والعوام) (١).

وقال عنه **الأدنه وي**: ((كَانَ إِمَامًا فَاضلًا أصوليًا متكلمًا مُفَسرًا مُحدثًا فَقِيهًا حَافِظًا نحويًا لغويًا ذكيًّا فطنًا، أحد الْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة الْمَشْهُورين بالحظ الوافر من الْعُلُوم، وَالْقَبُول التَّام عِنْد الْخَاص وَالْعَام، وَكَانَ أستاذًا نشر الْعُلُوم إملاءً وتذكيراً))(٢).

سابعاً: **مؤلفاته**:

ترك النسفي ثروة علمية ضخمة، وقدَّم للمكتبة الإسلامية تصانيف كثيرة وقيمة في علوم متعددة وفنونً مختلفة، حتى قيل عنه: صنَّف التصانيف في التفسير والفقه والحديث ومنها: القند في ذكر علماء سمرقند. نظم الجامع الصغير في فروع الفقه الحنفي. طِلْبَة الطَّلبة في اللغة على ألفاظ كتب الحنفية. تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار. وغيرها

ثامناً: **وفاته**:

توفي ليلة الخميس في الثاني عشر من جمادى الأولى، سنة سبع وثلاثين وخمسمئة عن خمس وسبعين سنة، بسمرقند (٣).

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية: (ص١٤٩).

(٢) طبقات المفسرين للأدنه وي: (ص١٧١).

(٣) يُنظر: التحبير في المعجم الكبير: (١/ ٥٢٩)، وسير أعلام النبلاء - ط الرسالة: (٢٠/ ١٢٧).

المطلب الثاني: التعريف بتفسيره التيسير، وبيان قيمته العلمية،

أولاً: اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

كتاب التيسير في التفسير من مصنفات أبي حفصٍ، عمرَ بنِ محمدٍ النسفيِّ الحنفيِّ، وذلك باتفاق علماء السلف والخلف، إذ لم يرد لأحد منهم خلاف ذلك. وشواهد نسبته له كثيرة ومتنوعة، ويتبين ذلك بأمور:

أولا: أن المخطوط الذي اعتمد عليه في إخراج هذا الكتاب قد اشتمل على تصريح النسفي باسم الكتاب منسوبًا له. **ثانيا:** تصريح النسفي في مقدمة تفسيره عن نسبته. **ثالثًا:** أن كثيرًا من أهل التراجم أورد هذا الكتاب من بين المصنفات التي خلَّفها النسفي.

ثانياً: التعريف بكتاب التيسير في التفسير:

تفسير التيسير في التفسير من الكتب المبسوطة في علم التفسير؛ يقع في خمسة عشر مجلداً، تحقيق: ماهر أديب حبوش-جمال الفارس-سارية عجلوني-فادي المغربي، الناشر: دار اللباب في-إسطنبول-تركيا، الطبعة: الأولى للكتاب كانت عام: ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

ويعتبر من الموسوعات التفسيرية التي احتوت التفسير بالمأثور، وبالرأي والاجتهاد، كتفسير الطبري، وهذا التفسير اسمٌ على مسمى فهو تفسير فريد ميسر، سهل العبارة جليها، ذا عرض بسيط قريب من طلبة العلم، وأفهام الناس، جامعٍ للفرائد والنفائس وفنون التفسير.

ثالثاً: مميزات تفسير التيسير في التفسير، ومنهجه:

من خلال استعراض تفسير النسفي تبين لي عدة ملامح سار عليها النسفي في تفسيره، أوجزها في النقاط التالية:

أولا: عنايته بالتفسير بالمأثور: تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، أو صحابته الكرام، أو التابعين وأتباعهم؛ وشواهد ذلك: كثرة الآيات

والأحاديث وأقوال السلف التي ضمنها تفسيره(١). ولا يفهم من هذا أنَّه لم يكن يعمل الرأي في تفسيره، بل الواقع خلاف ذلك، فكثيرًا يرجح أو يصوب أو يوجه قولاً لدليل معتبر لديه.

ثانيًا: دراسته لاستعمال القرآن للألفاظ التي تعددت معانيها الألفاظ المتواطئة والمشتركة(٢).

ثالثًا: لا يستطرد في ذكر المسائل الفقهية، ومسائل أصول الفقه والقضايا اللغوية والنحوية.

رابعًا: له عناية خاصة بالقراءات القرآنية وتوجيهها.

خامسًا: يهتم بالمشكل القرآني والجمع بين ما يظهر تعارضه واختلافه.

سادسًا: من أهم ما يميز هذا التفسير: هو ذاك النفس الإيماني والنفح الرباني المتخالط مع التفسير اللفظي، صادرة عن قلب خاشع ولسان ذاكر.

---

(١) من شواهد تفسير القرآن بالسنة: يُنظر: التيسير في التفسير - أبو حفص النسفي المواضع التالية: (٤/ ٤٧٤، ٤٧٥)، (٤/ ٤٧٥)، (٤/ ٥٢٤)، (٥/ ٣٨١)، (٥/ ٤٢٠)، (٧/ ١٠٧)، (٧/ ٢٤٥)، (٨/ ٥٢)، (١٠/ ١٩٩)، (١١/ ٦٩)، (١١/ ٩٨)، (١٢/ ٥٠٤). من شواهد تفسير القرآن بأقوال الصحابة: يُنظر: التيسير في التفسير - أبو حفص النسفي المواضع التالية: (١/ ١٤٤)، (١/ ٩٠)، (١/ ١٠٠)، (١/ ٣٠٨)، (٤/ ١٨٥)، (٩/ ٢١٩)، (١/ ١٢١)، (١/ ١٤٤)، (١/ ٢٦٩)، (١/ ٢٨٥)، (١/ ٣٣٠)، (١/ ٣٣٤)، (١/ ٣٤٤)، (٢/ ٢٤) ومن شواهد تفسير القرآن بأقوال التابعين: يُنظر: التيسير في التفسير - أبو حفص النسفي المواضع التالية: (١٠/ ٢٢٤)، (٣/ ٢٢)، (١/ ١٥١)، (١/ ١٥٥)، (٢/ ١١٨)، (٢/ ٢٩٧)، (٢/ ٣٣٠)، (٢/ ٤٣٠)، (٤/ ٤٠٥)، (٨/ ٢٨٢)، (٩/ ٢٨٧)، (١٤/ ٣٢)، (١٥/ ١١٩)، (١٥/ ٥١٦).

(٢) من شواهد ذكره للوجوه والنظائر: يُنظر: التيسير في التفسير: (١/ ٣٧٩)، (١/ ٦١، ٦٢)، (١/ ١٤٧)، (١/ ٤٠٤)، (١/ ٣٦٦)، (٤/ ٥٢٠)، (٥/ ٢٨٦)، (٨/ ٣٧١)، (١١/ ٣٤٠).

سابعاً: كثرة ما فيه من أقوال تفسيرية وفوائد ونكات خاصة بالمؤلف.

رابعاً: أسلوبه في التفسير:

سار النسفي في تفسيره على أسلوبٍ واحدٍ محدد المعالم والسمات، من فاتحة القرآن لخاتمته، يمكن الإشارة إليه من خلال النقاط التالية:

أولاً: يبدأ بمقدمة فيها حمدٌ لله بداية كل سورة، ويمهد في الغالب لموضوع الآيات بمقدمة مناسبة لموضوع السورة تتضمن خطبة تتميز ببراعة الاستهلال، فمثلاً في سورة النساء بدأ بقوله: ((بسم الله الذي خلقنا من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء، وكان في ذلك وفي كل شيء عليمًا حكيمًا، الرحمن الذي علم الإنسان ...))

ثانيًا: يذكر من علوم السورة وهل هي مكية أو مدنية، وعدد آياتها، ويذكر اختلاف علماء عدِّ الآي، وعدد كلماتها، وعدد حروفها، مثاله عند تفسير سورة يونس يقول: ((وهذه السورة مكية، وهي مئة وعشر آيات، وقيل: تسع، وقيل: ثمان، والاختلاف في ثلاث آيات: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ و....))[1].

ثالثاً: يذكر الأحاديث الواردة في فضل هذه السورة غالباً، فمثلاً عند شرحه لسورة العنكبوت قال: ((وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين))[2]، وجل هذه الأحاديث مما لم يثبت في فضائل القرآن.

رابعاً: يذكر مناسبة السورة بما قبلها، مثاله قال في انتظام سورة طه مع سورة مريم: ((وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه ختم تلك السورة بذكر القرآن

---

(١) التيسير في التفسير: (٨/ ٧).

(٢) التيسير في التفسير: (١١/ ٤٧٧).

وتيسيره وافتتح هذه بذكر القرآن وإنزاله. وانتظام السورتين: أنه ذكر في تلك.....))[1].

خامساً: يشرع في تفسير السورة متبعًا المنهج السابق الذكر، ناقلاً الأقوال الجامعة، موجزًا في بيانه مع متانة في عبارته، محققاً ليس مجرد ناقل، حريصاً على ذكر الهدايات القرائية، بنفس إيماني، متبعاً التفسير التحليلي، وتفسيره فريدٌ في بابه، جامعٌ للفرائد، زاخرٌ بالفوائد.

ثانيا: مفهوم المشكل في التفسير، وفيه مطلبان

أولاً: المشكل في اللغة.

المُشكِل: اسم فاعل من غير الثلاثي (أشكلَ) يُشْكِلُ إشْكالاً؛ فهو مُشْكِلٌ.، والفعلان «شَكَلَ» و «أَشْكَلَ» لازمين، فالأول فصيح، والثاني صحيح، وهما بمعنى واحد، ومجيء «فَعَلَ»، و «أَفعل» بمعنى واحد كثير في لغة العرب[2]

قال ابن فارس: ((الشين والكاف واللام، مُعظمُ بابِهِ **المُماثَلة**، تقول: هذا شَكْل هذا، أي: مِثْلُه، ومن ذلك يُقال: أمرٌ مُشْكِل، كما يُقال: أمرٌ مُشْتبِه))[3].

قال أبو بكر الأنباري[4]: ((والأشكل عند العرب: اللونان **المختلطان**))[5].

---

(١) التيسير في التفسير: (١٠/ ٢٥٤).

(٢) يُنظر: معجم الصواب اللغوي: (١/ ٤٧٤).

(٣) معجم مقاييس اللّغة، لابن فارس: (٣/ ٢٠٤).

(٤)محمد بن القاسم بن محمد بن بشّار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن ابن دعامة، أبو بكر بن الأنباريّ النحويّ. كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظا له. توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. يُنظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: (٣/ ٢٠١-٢٠٢)، وتذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ: (ص: ٢٣٣).

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس: (٢/ ١٥١).

والشكلة: الحمرة تختلط بالبياض، وهذا شيء أشكل. ومنه قيل للأمر **المشتبه**: مشكل(١).

ومن الملاحظ أنّ مادة المشكل المعجمية واستعمالاتها تدل على معنى دلالي واحد وهو عدم التبيين والوضوح والاشتباه والخفاء فلا يشتبه الأمر أو يختلط بغيره أو يلتبس به إلا وفيه نوع خفاء وغموض مما يحتاج لكشفه وبيانه وتوضيحه وإزالة مشكله إلى نظرٍ وتأملٍ؛ حتى يستبين عن غيره، ويبين عن نظيره، ويتميز عن شبيهه.

وهذا يعزز المعنى الاصطلاحي الآتي، فهو لا يخرج عن المعنى اللغوي؛ إذ المعنى الاصطلاحي مهما تطوَّر وامتدَّ فإنه يبقى متَّصلاً به، ويبقى المعنى اللغوي كالجذر للمعنى الاصطلاحي.

ثانيًا: تعريف المشكل اصطلاحًا:

اختلفت آراء العلماء في تعريف المُشْكِل، فتعريفه عند أهل كلِّ فنٍ مُباين للفنِ الآخر، فهو عند الأصوليين مختلفٌ عمَّا عند المُحَدِّثين وكذلك المفسرين، وسأذكر تعريفه عند المفسرين وأهل علوم القرآن؛ لأنه هو ما يعنينا في هذا البحث هو معناه في اصطلاحهم دون غيرهم.

وأفرده **الزركشي**(٢) في النوع الخامس والثلاثون، وسمَّاه: معرفة موهم المختلف، وعرَّفه بأنَّهُ: ((ما يوهم التعارض بين آياته، وكلام الله جل جلاله منزه عن الاختلاف كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا

(١) يُنظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١٦).

(٢) محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي، الشافعي (بدر الدين، ابو عبد الله)، تركي الاصل، مصري المولد. فقيه، اصولي، محدث، أخذ عن جمال الدين الأسنوي، وَفَسَر الْقُرْآن الْعَظِيم وصل إِلَى سُورَة مَرْيَم، وتوفِي: سنة أَربع وَتِسْعين وَسَبْعمائة بالقاهرة. يُنظر: طبقات المفسرين للأدنه وي: (ص: ٣٠٢).

كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ [سورة النساء:٨٢].

ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به؛ فاحتيج لإزالته))[١]. فنلحظ هنا أنَّ الزركشي قصر المشكل هنا على موهم التعارض والاختلاف، ولا شك بأنَّه نوعٌ من أنواع المشكل، وليس هو المشكل بعينه.

وعرَّفهُ **ابن عقيلة**[٢] بقوله: ((وَأَمّا المُشْكِل: فهو ما أشكل معناه على السامع ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليل آخر))[٣].

والتعريف الأرجح ما ذكره المنصور في مشكل القرآن الكريم وهو: ((الآيات التي التبس معناها واشتبه، فلم يعرف المراد منها عند كثير من المفسرين))[٤].

ثالثاً: الحكمة من وجود المشكل:

وقد التمس العلماء عدداً من هذه الحكم ومنها:

- في وجود المشكل تدريب للعقول على النظر والتفكر والتأمُّل، وهذا من استعمال نعمة العقل فيما خلقها الله لأجله؛ وحصول التكريم الذي وهبه الله لهذا الإنسان على سائر المخلوقات.
- إنَّ التأمل والنظر في القرآن وفي ألفاظه ومعاينة، وجمع الفكر لذلك، مع سلامة

(١) البرهان في علوم القرآن: (٢/ ٤٥).

(٢) محمد بن أحمد بن سعيد بن مسعود المكي، جمال الدين، أبو عبد الله، المعروف بعقيلة، والملقب بالظاهر. مؤرخ، محدث، المسند،توفي عام: ١١٥٠ هـ. يُنظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٢/ ٤٨٧)، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: (٤/ ٣٠، ٣١).

(٣) الزيادة والإحسان في علوم القرآن: (٥/ ١٣٤).

(٤) مشكل القرآن الكريم، للمنصور: (ص/٦٨).

المقصد ناتج لتدبُّره وتعقُّله، وهو المقصود من إنزاله، قال تَعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾ [سورة ص: ٢٩].

- الشعور بالفرح والغبطة بما يفتح الله على عبده بعد النظر والتأمل والاهتداء للأجوبة السديدة لدفع هذا الإشكال، وهو من فضل الله الذي يستوجب فرحًا وحمدًا وشكرًا، يقول تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [سورة يونس: ٥٨].
- في دراسة الآيات المشكلة إظهاراً لجانب من جوانب الإعجاز القرآني وهو الإعجاز في المعاني وحكم التشريع وتتبين فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وأحكامه.
- ومن حكم وجوده اختبار الخلق وابتلائهم؛ فأما المؤمن فلا يخالطه شك في أنه كتاب هداية، وأنه لا يختلف ولا يلتبس فيرد متاشبهه لمحكمه ويقول: آمنا به كل من عند ربنا، وأما من في قلبه مرض، فتزل قدمه، ويزيغ عقله؛ فيرتاب فيه ويطعن، ولا يزيده القرآن إلاّ خساراً، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [سورة الإسراء: ٨٢]
- في وجود المشكل إظهارًا لفضل العلماء وتفاضلهم فيما بينهم، وفي بحثهم وتنقيبهم عن الحق، وتثويرهم لمعاني القرآن، والمشقة فيه مزيد أجرٍ ورفعة عند الله، وذلك من أعظم القرب.
- في وجود المشكل وبحث أهل العلم فيه لدفع إشكاله احتياٌج لعلوم شرعيةٍ كثيرةٍ تساعده على فهمه، كعلم اللغة والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه والتوحيد

والفقه وعلوم القرآن؛ مما يساهم-مع صلاح النية-في تحصيل علوم كثيرة تنفعه في دينه وآخرته.

- فيه التدريب على ملكة الاستنباط ومعرفة المعاني الخفية؛ مما يساهم في تقوية الملكة الفقهية بوجه خاص.
- البحث في معاني المشكل يستلزم من الباحث زيادة في تحصيل عدة علومٍ شرعية مثل علوم القرآن، والسنة، والأصول، واللغة وغيرها من العلوم التي لابد من المفسر أن يضبطها.

مشكل التفسير، النشأة والمؤلفات، وفيه:

أولاً: منشأ المشكل وجذوره

من المتقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن –بأقواله وأفعاله وجميع سنته-كما بين لهم ألفاظه؛ فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [سورة القيامة: ١٩] وهي دالةٌ على ذلك؛ فحُفظ في الصدور والسطور وقيض الله من يأخذ بيانه عن رسول الله ﷺ من الصحابة الأجلاء، وكبار مفسري الصحابة؛ لتجد الأمة ما يعينها على فهم كتاب ربها وحسن الأخذ به، وهي إحدى وظائف رسول الله ﷺ تبيين معاني القرآن الكريم، قال تعالى: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل:٤٤].

وقد اختلف العلماء في القدر الذي بينه النبي ﷺ من القرآن لأصحابه، وبيان هذه المسألة في كتب أصول التفسير(١).

والرأي الذي تميل إليه النفس هو التوسط بين الرأيين؛ فإن الرسول ﷺ بيّن الكثير من معاني القرآن لأصحابه، كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يبين كل

(١) يُنظر: موسوعة التفسير قبل عهد التدوين: (ص: ٤٩- ٥٦)، وفصول في أصول التفسير: (ص: ٣٧).

معاني القرآن، لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته ،كما صرحَّ بذلك ابن عباس رضي الله عنهما(١).

ومن التفسير ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك من كل ما خفي معناه والتبس المراد به؛ لذا وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، الاختلاف في تأويل بعض الآيات، ولو كان عندهم فيه نصّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع هذا الاختلاف بينهم.

والصحابة رضي الله عنهم، كانت تشكل عليهم آيات من كتاب الله يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها تارة، ويبينها لهم تارة أخرى، وهي أسئلةً تدُلُّ على عمق علمهم، وشدَّة تعلُّق نفوسهم بالآخرة، قال عبدالله بن عباس رضي الله عنه((ما رأيتُ قومًا كانوا خيرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم...ما كانوا يسألون إلَّا عمَّا ينفعهم))(٢)؛

وهذه الآيات التي استشكلت عليهم من معاني القرآن كانت النواة الأولى لنشأة المشكل.

وقد نقلت لنا كتب السنن عدداً من الإشكالات التي وقعت لبعضهم في زمن الرسول ﷺ وبعده ما يلي:

المثال الأول: (عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٦٠] أهو الذي يزني،

(١) موسوعة التفسير قبل عهد التدوين: (ص: ٥٤، ٥٥).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، باب كراهية الفتيا، رقم (١٢٧)، تحقيق: حسين الداراني، وعلق بأنَّ اسناده ضعيف.

ويسرق، ويشرب الخمر؟ قال: «لا، يا بنت أبي بكر أو يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم، ويتصدق، ويصلي، وهو يخاف أن لا يتقبل منه))(١).قد أشكلت هذه الآية على عائشة-رضي الله عنها-وسألت رسول الله ﷺ عنها، والذين كانت تفهمه أولاً أنَّ الآية فيمن يسرق ويزني ويشرب الخمر وقلبه وجل وخائف من الله، فأجابها النبي ﷺ وأزال هذا الإشكال بأنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل، فمع عنايتهم بالعبادة واشتغالهم بها، يرون في أنفسهم التقصير والوجل. وسبب هذا الإشكال عدم وضوح المعنى.

المثال الثاني: ((قام أبو بكر فحمد الله عز وجل وأثنى عليه فقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥] إلى آخر الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: "إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقابه))(٢).

ففي هذا الحديث يبين أبو بكر-رضي الله عنه-للمسلمين بأنّ منهم من يفهم هذه الآية على غير وجهها، ويتوهم في معناها وهمًا ليس بصحيح، يريد أن النهي عن المنكر والأمر بالمعروف غير واجب مطلقًا، وليس كذلك، وسبب هذا الإشكال العموم الموجود في الآية، ويزيل هذا الإشكال ما ذكره العلماء، ومنهم السيوطي

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب التوقي على العمل: [حكم الألباني] حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذكر البيان بأن المتأول للآي قد يخطئ في تأويله لها، وإن كان من أهل الفضل والعلم، رقم الحديث (٣٠٥)، [تعليق شعيب الأرنؤوط]: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، في مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم (١).

حيث يقول: ((لأن الصحيح عند المحققين في معنى الآية أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم مثل قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى فإذا فعل ما كلف به من الأمر والنهي ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الآمر والناهي لأنه أدى ما عليه فإنما عليه الأمر والنهي لا القبول))(١)

وقيل معنى أَن النَّاس يضعون هَذِه الْآيَة فِي غير موضعهَا أَنه يُرِيد بِهِ يستعملونها فِي غير زَمَنهَا وَأَن زَمَنهَا الَّذِي يسْتَعْمل فِيهِ هُوَ الزَّمن الَّذِي وَصفه النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي حَدِيث أبي ثَعْلَبَة الْخُشَنِي إذا رأيت شحاً مطاعًا، وهوىً متبعًا، ودنيًا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا يدان لك به، فعليك خويصة نفسك، ودع أمر العوام(٢).

المثال الثالث:

((عن ابن أبي مليكة، أن علقمة بن وقاص أخبره، أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا، لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه «إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه، بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم»، ثم قرأ ابن عباس: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة آل

(١) شرح السيوطي على مسلم: (١/ ٦٥).
(٢) يُنظر: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف: (١/ ٢٢١).

عمران:١٨٧]. كذلك حتى قوله: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨]))(١).

ومن المعلوم أنَّ الجهل بأسباب النزول كثيرًا ما يوقع في اللبس والإشكال؛ فيؤدي لتأويل الآية على غير وجهها، وفهمها على غير معناها، كما حدث لمروان بن الحكم حين توهم أن الوعيد في قوله: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ للمؤمنين، والسبب في وقوعه في هذا الفهم: عموم هذه الآية، بدليل قوله: لئن كان كلُ امرئٍ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذبن أجمعون. ومع أخذه بهذا العموم، فصل السياق عمَّا قبله؛ لذلك بيَّن له ابن عباس-رضي الله عنهما-سياق الآية ونزولها.

(١) أخرجه البخاري، في كتاب تفسير القرآن، باب (لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا)، حديث رقم (٤٥٦٨).

الفصل الأول: منهج النسفي في المشكل والجواب عنه،
وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج النسفي في عرض المُشكل.

سار النسفي في إيراد المشكل وعرضه على منهجٍ واضح، وبيانه على النحو التالي:

أولاً: غالبًا ما يأتي بصيغة المشكل في عبارة مُهذبة مختصرة واضحة وسهلة.كقوله: "فإن قالوا: لم جمع الأبصار والواحد: بصر، وهو مصدر كالسمع؟"(١)، وقوله: "فإن قالوا: إن لم يعرفوا الله تعالى فكيف خادعوه؟ وإن عرفوه فكيف قصدوا خداعه؟"(٢). وكقوله: "فإن قالوا: إن كان ذبح البنين من سوء العذاب، فاستبقاء البنات لمَ جُعِلَ من سوء العذاب، وإنه سلامة ونعمة؟"(٣).

ثانيًا: يذكر أحيانًا في الآية أكثر من سؤال مشكل مبني إجابتها بعضها على بعض، كما ذكر عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة: ٦]. فقد أورد عندها ثلاثة إشكالات مبنيٌّ بعضها على بعض، فقال: "فإن قالوا: لم قال: لا يؤمنون، وترى بعض الكفار يؤمنون؟ فإن قالوا: لما علم الله أنهم لا يؤمنون، فلم أمر النبي ﷺ بدعائهم إلى الإيمان؟ فإن قالوا: لما أخبر الله تعالى رسوله أنهم لا يؤمنون، فهلا أهلكهم كما أهلك قوم نوح بعد ما أخبر أنهم لا يؤمنون؟"(٤).

ثالثًا: غالبًا ما يُقدم للمشكل بمقدمة قبل ذكره، كقوله: "ثم هذه الصيغة للتحقيق عند بعضهم، وللدعاء عند آخرين فإن قالوا: الدعاء للعاجز عرفاً، فما معنى هذا الدعاء

---

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٢٩٤).
(٢) التيسير في التفسير: (١/ ٣٠٣).
(٣) التيسير في التفسير: (٢/ ١٦٨).
(٤) التيسير في التفسير (١/ ٢٨٣- ٢٨٤).

من الله تعالى؟"(١).

رابعًا: يذكر المشكل عند بعض الفرق الضالة ولا يُصرح بذكر القائل على التحديد والتعيين، بل ينسب الأقوال إلى فرقها، كقوله: "قال بعض أهل الإلحاد: إنكم رَوَيتُم عن النبيِّ ﷺ أنه قال "إنَّ الشيطان ليَهربُ من البيت الذي يُقرأ فيه القرآن"، فأيُّ حاجةٍ إلى الاستعاذة منه؟"(٢).

خامسًا: يذكر المشكل غالباً بصيغة (الفنقلة)، فيقول: فإن قيل، كقوله: "فإن قيل: لم كرر ﴿إِيَّاكَ﴾، ولو اكتفى بالأول صح"(٣)؟

سادسًا: يورد أحياناً الإشكال، ويتبعه بما يؤيده من قرآن أو سنة أو شعر للعرب، كقوله: "فإن قالوا: إن مكة كانت حرامًا قبل هذا، قال ﷺ (ألا إن مكة كانت حرامًا حرمها الله تعالى منذ خلق الله السماوات والأرض) ، فما معنى سؤال الأمن؟".

سابعًا: مما يورده من الإشكالات:

أ- **إشكال آية مع آية:** كقوله: "قال هاهنا: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ [التوبة: ١٣]، وقال في آية أخرى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ [الأنفال: ٥]"(٤).

ب- **إشكال آية مع حديث:** كقوله: " "فإن قيل: رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: (ثلاث من علامات النفاق: إذا حدث كذب...) فكيف توفق بين الآية والخبر"(٥).

ج- **إشكال آية مع نفسها:** سواء كان على قراءة منها، أو بلفظة فيها، أو بخاتمتها،

---

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٣١٠).
(٢) التيسير في التفسير: (١/ ٢١).
(٣) التيسير في التفسير: (١/ ١٢٨).
(٤) التيسير في التفسير: (٧/ ٣٤٤).
(٥ التيسير في التفسير: (٨/ ٣٤٨،٣٤٩).

أو على معنى من معانيها، أو تفسير من تفاسيرها، كقوله: "وقوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾، يرجِعُ إلى القرآن، وقال الفرَّاء: إلى النَّبيِّ ﷺ، فإن قيل: إنَّ أهلَ الكتابِ يُؤمنونَ بالبعثِ، ولا يؤمنون بهذا الكتاب، فما معنى هذه الآية؟"(١). وكقوله: "وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾قرأ نافعٌ والكسائيُّ بالتَّخفيف.... وقرأ الباقون: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾بالتشديد، ومعناه: لا ينسبونك إلى الكذب، وهذا مشكل مع بقية الآية"(٢). وكقوله: "فإن قيل: كيف كان قوله: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ جوابًا لقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، وكانت الرسالة في ذريته"(٣).

د-إشكال آية مع العقل والحس: كقوله: "ثمَّ إجابةُ الدُّعاء وعدُ صدقٍ مِن الله تعالى لا خُلْفَ فيه، ومَن دعا بحاجةٍ فلم تقض للحال"(٤). وكقوله: "فإن قالوا: خوَّفهم اللَّهُ تعالى إنْ لم يبادِروا إلى الإسلامِ بالطَّمسِ والمسخ، ولم يسلموا، ولم يفعل!"(٥).

ثامنًا: يورد الإشكال من مُفسرٍ، ويُجيب عليه، كما في قوله: "وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فإن قيل: ما الحكمةُ في قطعِ يدٍ قيمتُها ألوفٌ بسرقةِ عشرة دراهم، وقد قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]؟"(٦)، ويجيب عنه بقوله: "قلنا: جزاءُ الدنيا محنةٌ يُمتحَنُ بها المرءُ،

(١) التيسير في التفسير: (٦/ ١٤٨).
(٢) التيسير في التفسير: (٦/ ٥٥).
(٣) التيسير في التفسير: (٢/ ٤٣٦).
(٤) التيسير في التفسير (٣/ ٩٤).
(٥) التيسير في التفسير: (٥/ ٥٤).
(٦) التيسير في التفسير: (٥/ ٣٨٥).

..."[١]. وقوله: "وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فإن قالوا: كيف كلِّفنا محاربتَهم ونحن لا نراهم وليس في وسعنا ذلك"[٢]. ويجيب فيقول: "قلنا: لم نكلَّفْ محاربةَ أعيانهم، بل دفعَ وسوستهم..."[٣]. وهو لم يذكر إشكالاً لغير إمامه أبي منصور[٤].

تاسعًا: لا يُصرّح أحياناً بلفظٍ صريح يدلُّ على الإشكال، ويُعلم من أسلوب تناوله للآية وتوضيحها، أو طريقة معالجتها بأنَّ فيها معنىً مشكل، كقوله: "المسلمون يَرَون المشركين مِثْلَي أنفسِهم، ولم يُرِدْ به قصرَ العدد على مِثْلَي عددِ المسلمين على الاستواء، فقد كان المسلمون ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ، والمشركون تسعُ مئةٍ وخمسون، وهذا أكثرُ مِن ثلاثة أمثاله"[٥].

عاشراً: قد يفترض بعض الإشكالات في أذهان بعض المخالفين أو بعض الفرق الضالة، ويُجيب عنها، كقوله: "قال: فإنْ قال لنا مُلحِدٌ: كيف يصحُّ هذا وهو دعوى؟"[٦].

الثاني عشر: يورد أحيانًا معنى الآية إجمالاً كمقدمة لذكر الإشكال، كما في قوله: "﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ ومعناه حينئذٍ؛ أي: لمَّا رأى عندها فاكهةَ الشتاء في الصيف، وفاكهةَ الصيف في الشتاء، على خلافِ مجرى العادة، طمع في

---

(١) التيسير في التفسير: (٥/ ٣٨٥).

(٢) التيسير في التفسير: (٦/ ٣١٩).

(٣) التيسير في التفسير: (٦/ ٣١٩، ٣٢٠).

(٤) مع ملاحظة أنّ الجواب إن لم يكن من النسفي فليس داخلاً في دراستي، كما هو مُبيَّنٌ في نهج الدراسة.

(٥) التيسير في التفسير: (٣/ ٤٧٩).

(٦) التيسير في التفسير: (٣/ ٤٩٦).

الولد على كِبَرِ سِنِّه وعُقر امرأته، وإن كان على خلاف مجرى العادة"(١).

الثالث عشر: قد يأتي بإشكال سببه أكثر من أمر، كاعتقاد فرقة ضالة، ومسالة لغوية مثاله قوله: "وتعلَّقت الروافض-لعنهم اللَّه-بظاهرها لإباحة الجمع بين تسع نسوة، فإنَّه ذُكر بالواو لا بـ (أو)، وذلك للجمع"(٢).

الرابع عشر: يبتدئ بذكر الإشكال، ويورد إشكالات لم يُسبق إليها من قبل، كما في قوله: "فإنْ قيل: فلماذا استنصر بالحواريِّين على قومه، وإنما بُعِث بالوعظ دون نصب الحرب؟"(٣) .

الخامس عشر: يذكر الإشكال ولو كان في نظر الناظر واضحاً بيناً، ويصِم من أشكَلَ عليه بالبلادة وضعف العقل، ويجيب عنه، بإجابة مفصلة وافية، كما في قوله: "قالت الملاحدةُ-لعنهم اللَّه-: هذا كلامٌ لا يُفيد، وهو كقولِك لغلامِك: كلْ هذا الطَّعامَ، فإنْ لمْ تَأكلهُ فإنَّك ما أكلتَهُ"(٤). **فأجاب قائلاً:** "قلنا هذا قصورُ فهمٍ منكم، وبلادةُ طبع، وقلَّة معرفةٍ بكلام النَّاس، وله وجوهٌ صحيحةٌ: **أحدُها:** أنَّ قولَه: ﴿مَآ أُنزِلَ﴾للعموم..."(٥).

السادس عشر: يُغاير بين العبارات المعبِّرة عن الإشكال، كما سيأتي في صيغ الإشكال في الفصل الرابع.

---

(١) التيسير في التفسير: (٤/ ٢٣- ٢٤).
(٢) التيسير في التفسير: (٤/ ٤٣١).
(٣) التيسير في التفسير: (٤/ ٦٨).
(٤) التيسير في التفسير: (٥/ ٤٣٨).
(٥) التيسير في التفسير: (٥/ ٤٣٨، ٤٣٩).

المبحث الثاني: منهج النسفي في الجواب عن المشكل.

المتأمل في أجوبة النسفي عن المشكل يرى بأنَّه قد ساسلك منهجاً مُحددًا واضح المعالم، ومن معالمه:

أولاً: كثيرًا ما يهتم بتفسير القرآن بالقرآن أولاً في جوابه عن المشكل، وظهر هذا جلياً في كتابه، فمنها قوله: "هذا تعليم من الله تعالى أنه يجوز الدعاء عليهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقوله: ﴿ وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧﴾ [سورة النساء:١١٧]، وقريب منه: قال تعالى: ﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾ [سورة الملك:١١]. وقوله: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾ [سورة المسد:١]."(١).

ثانيًا: في تصديره للأجوبة غالباً يذكر عبارة (قلنا) كقوله: "قلنا: ليس هذا في حق كل كافر"(٢).

ثالثًا: لديه حسن تنظيم وتقسيم للمعلومات، وجودة ترتيب، وتعداد للأجوبة، فمثلاً في مسألة الاستعاذة يقول: "**أحدها:** أنَّا تُعُبِّدْنا به،... **والثاني:** أن هذا الوعدَ في حقِّ .. **والثالث:** أن الشيطان .. **والرابع:** أن الغرض ..."(٣).

رابعًا: يستشهد كثيرًا لحل المشكل بلغة العرب والشعر؛ وهذا لنزول القرآن بلسان عربيٍّ مبين، كقوله: "أنه سائغ في كلام العرب، ووارد في القرآن: وقد وردت المغايبة بعد المخاطبة أيضا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ﴾ [يونس: ٢٢]، وقال النابغة:

---

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٣١٠).
(٢) التيسير في التفسير: (١/ ٢٨٣- ٢٨٤).
(٣) التيسير في التفسير: (١/ ٢١، ٢٢).

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

رجع في هذا من المخاطبة إلى المغايبة. وقال آخر ورجع عن المغايبة إلى المخاطبة: يا ويح نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر"(١).

خامسًا: عند ذكره لأكثر من وجه قالع للإشكال، قد يُرجِّح أحد الأوجه، ويستدل عليه أو يُعلل له، كقوله: " والجواب الصحيح ما قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن وابن جريج ومحمد بن إسحاق: إن الله تعالى أخبرهم بذلك وأذن لهم في السؤال؛ بدليل..."(٢).

سادسًا: يذكر غالباً من أخذ منهم القول المزيل للإشكال، وهذا كقوله: "وقال القفال: ويجوز أن الذبح والاستحياء ..."(٣).

سابعًا: في حالة كان الجواب من الإمام أبي منصور يذكره غالبًا بلقبه مصرحاً به، كقوله: "وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: مِن النَّاس مَن يقولُ: لم يكن في شريعة عيسى ..."(٤).

ثامنًا: يستشهد من السنة النبوية، والآثار في جوابه على الإشكال، كقوله: "...

الثاني: لأن النبي ﷺ نهى عن تمني الموت، قال: (لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به، ولكن ليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي)، وقال خباب بن الأرت ﷺ: (لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به)"(٥).

تاسعًا: يُصحح أحياناً جميع الوجوه وجميع الأجوبة على الإشكال في الآية، وغالباً ما تكون كذلك، كقوله: "له وجوه صحيحة. قال ابن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) التيسير في التفسير: (١/ ١٤٢،١٤٣).
(٢) التيسير في التفسير: (٢/ ٥٣).
(٣) التيسير في التفسير: (٢/ ١٦٨،١٦٩).
(٤) التيسير في التفسير: (٤/ ٦٨).
(٥) التيسير في التفسير: (٢/ ٣٤٣، ٣٤٤).

﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ﴾ [سورة الأنعام:٣٣] من تكذيبهم..."(١).

عاشراً: في غالب الأجوبة اللغوية ينسب الأقوال لقائليها، كقوله: "فقال: **أحدهما:** قول سيبويه: أن الضلال سبب الإذكار .. **الثاني:** قول الفراء: أنه بمعنى الجزاء، وتقديره..."(٢).

الحادي عشر: يبدأ في جوابه عن الإشكال أحيانًا بالقول الراجح في المسألة، ثم يتبعه بما هو دونه في الصحة لديه، كقوله: "أوضحُها قولُ الكسائيِّ والفرَّاء والمبرِّد وجماعة: إنَّ قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾محمولٌ على التَّأخير، مرفوعٌ بالابتداء...وقال قطرب..."(٣).

الثاني عشر: أحيانا يُجيب عن المشكل بجواب من عنده وجواب من إمام آخر، كقوله: "لكنَّهم اعتقدوا طهارةَ ذلك، فبنى ذلك على زعمِهم. وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمل أن يكون هذا تعريفًا..."(٤).

الثالث عشر: في جوابه لما يوهم التعارض دائمًا قبل ذكره للجواب ينفي تمامًا وجود التعارض من جميع وجوهه، أو يخبر بأنَّ التوفيق بين النَّصين ممكنٌ، كقوله: "فلا تناقُضَ بينهما، بل في القيامة...."(٥). وكقوله: "والتوفيق بينهما على قول ابن عباس ...."(٦). وكقوله: "والتوفيق: أنهم همُّوا بإخراجه بأنفسهم..."(٧).

---

(١) التيسير في التفسير: (٦/ ٥٦-٥٨).
(٢) التيسير في التفسير: (٣/ ٤٢٨).
(٣) التيسير في التفسير: (٥/ ٤٤٢).
(٤) التيسير في التفسير: (٨/ ٢٤٤).
(٥) التيسير في التفسير: (٦/ ٢٨٩).
(٦)(التيسير في التفسير: (٦/ ٥٠٠،٥٠١).
(٧) التيسير في التفسير: (٧/ ٣٤٤).

المبحث الثالث: صيغ المشكل عند النسفي.

للنسفي رحمه الله عبارات محددة في إيراد الإشكال، وهذه العبارات منها مفهوم من لفظه؛ كالتصريح بلفظ الإشكال، ومنها ما هو مفهوم من فعله، كأن يوردها مورد الاستفسار والاستغراب. ومن خلال التتبع والاستقراء يمكننا أن نحصر عبارات النسفي في بيان الإشكال كالتالي:

أولاً: يستخدم لفظ **(أشكل)** وما تصرف منها، كقوله: "وهذا مشكلٌ لو حُمِلَ على مطلقِ الفضلِ والرَّحمةِ؛.."(١). وقوله: "ينسبونك إلى الكذب، وهذا مشكل مع بقية الآية"(٢).

ثانياً: يستخدم: **فكيف جمع بينهما،** كقوله: "فإن الأول مغايبة وهذا مخاطبة، وكذلك قوله: ﴿أَهۡدِنَا﴾، **فكيف جمع بينهما؟**"(٣).

ثالثًا: يستعمل عبارة **فإن قالوا... فما معنى، كقوله:** "**فإن قالوا**: إن الكفار شكوا فيه، فلم يقروا بكتاب الله تعالى، والمبتدعون من أهل القبلة شكوا في معاني متشابهاته،... **فما معنى** نفي الريب عنه؟"(٤). أويقول: **(فإن قالوا)**، مثل: "**فإن قالوا**: أي أعجوبة في تكلمه كهلاً؟ وإنما ذكر تكلمه في الطفولية أعجوبة"(٥). أويقول: **(فإن قالو ..فهلا).**

رابعًا: بعد أن يذكر تأويل الآي **يورد عبارة: (لكن لا يتَّضح هذا التأويل) كقوله:**

---

(١) التيسير في التفسير: (٥/ ١٢٩، ١٣٠).
(٢) التيسير في التفسير: (٦/ ٥٥).
(٣) التيسير في التفسير: (١/ ١٤١).
(٤) التيسير في التفسير: (١/ ٢١٦).
(٥) التيسير في التفسير: (٤/ ٥١).

"نأت بخيرٍ منها؛ أي: بصلاحٍ وخيريَّة، **لكن لا يتَّضح هذا التأويل**، فإنَّه قال: ﴿أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾"(١).

خامسًا: يستعل أسلوب **السؤال والاستفهام**، كقوله: "فلمَ جاء النص بخلافه"(٢). وكقوله: **"**كيف نهانا عن سب من يستحق السب؛ مخافة سب من لا يستحقه**"**(٣). وقوله: "فكيف كانت مكتوبةً لهم، وماتوا قبل أن يدخلوها"(٤)

سادسًا: يستعمل: **(فقد قال.. ثم قال)** هذا يعني أنَّ هناك ما يشكل، كقوله: " قال تعالى: ﴿ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾، فقد قال النبيُّ ﷺ: (لا تفضِّلوني على أخي يونس)، ثم قال: (أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ)..."(٥).

سابعًا: يعبر عن المشكل بعبارة: **(فإن قال لنا)** كما في قوله: "قال: فإنْ قال لنا مُلحِدٌ: كيف يصحُّ هذا وهو دعوى"(٦).

ثامنًا: يستخدم لفظ **وفي الآية غموض، ولأهل التفسير فيها وجوهًا**، كما في قوله: "وإنَّ مَن لزم الدِّين الأوَّل أحقُّ بالموافقة، وأنكروا جواز نسخِ الشَّرائع. **وفي نَظْم الآية غموضٌ، ولأهل التَّفسير فيه وجوهٌ**"(٧).

---

(١) التيسير في التفسير: (٢/ ٣٩٠).
(٢) التيسير في التفسير: (٣/ ١٤٧).
(٣(التيسير في التفسير: (٦/ ١٧٨،١٧٩).
(٤) التيسير في التفسير: (٥/ ٣٥١).
(٥) التيسير في التفسير: (٣/ ٣٢٠، ٣٢١).
(٦) التيسير في التفسير: (٣/ ٤٩٦).
(٧) التيسير في التفسير: (٤/ ١٠٥، ١٠٦).

تاسعًا: يستخدم عبارة: **(ثُمَّ هذا في الظاهر)**،كما في قوله: "ثم هذا في الظاهر عطفُ فعلٍ على اسمٍ، ولا يتَّفقان"(١).

عاشراً: يستعمل عبارة **(فكيف يكون)، كقوله:** "بل ضرارًا وكفرًا وتفريقًا وإصادًا، وذلك ليس بحقٍّ فكيف يكون هذا أحقَّ؟"(٢).

الحادي عشر: **يذكر الآيتين المشكلة في ظاهرها** دون الإشارة لوقوع إشكال من لفظه، وإنما من مفهوم من فعله، ويجيب عليه، كما في قوله: "قال تعالى: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾ [سورة الملك:١١]، فأما قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣]".

الثاني عشر: يذكر بأنَّ الآية مشكلة بظاهرها، كقوله: "...ثم الخوف شرط لجواز القصر عند الخوارج بظاهر هذه الآية، وعند الجمهور ليس بشرط"(٣). **وقوله:** "وهو في الظاهر عطفٌ على "برؤوسكم"، فتعلَّق القائلون بأنَّ وظيفتَها المسحُ مِن الرَّوافضِ بظاهرِها"(٤).

الثالث عشر: أن يقول: **(وتكلَّمَ النَّاسُ في هذه الآية وأكثروا؛ لأنَّ ظاهرَها)**، كقوله: "وتكلَّمَ النَّاسُ في هذه الآية وأكثروا؛ لأنَّ ظاهرَها

(١) التيسير في التفسير: (٤/ ١٣٨).
(٢) التيسير في التفسير: (٧/ ٤٧١).
(٣)(التيسير في التفسير: (٥/ ١٢٧،١٢٨).
(٤) التيسير في التفسير: (٥/ ٣١٤).

مشكِلٌ فإنَّ النَّبيَّ عليه الصلاة والسلام لم يكن يشكُّ فيما أُنْزِلَ عليه"(١). **أو يقول: وفي الآية أقاويلُ كثيرة، وللناس في العمل بها مذاهب،** كقوله: "تعالى هذه الآية. وفي الآية أقاويلُ كثيرة، وللناس في العمل بها مذاهب مختلفة"(٢).

الرابع عشر: يستعمل عبارة **(كثرت فيه الأقاويل)**، كقوله: "ثمَّ قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ رفعَهُ مع تقدُّم الكلمة الناصبة، وهي﴿إِنَّ﴾كَثُرَت فيه الأقاويل"(٣).

الخامس عشر: أن يقول **(اختلفت الأقاويل والتأويلات في الآية)**،كقوله: "اختلفَت الرِّواياتُ في قصَّة نزولِ هذهِ الآية وتأويلاتُ أهل العلم فيها"(٤).

السادس عشر: يستعمل لفظ: **(فما وجه)**، كما في قوله: "والأولُ والثاني عيبٌ، فما وجهُ الإضراب عن الأول؟"(٥).

(١) التيسير في التفسير: (٨/ ١٣٠).
(٢) التيسير في التفسير: (١١/ ٨٦).
(٣) التيسير في التفسير: (٥/ ٤٤٢، ٤٤٣).
(٤) التيسير في التفسير: (٥/ ٥١٣).
(٥) التيسير في التفسير: (٦/ ٤٢٠).

الفصل الثاني: أنواع المشكل عند النسفي في تفسيره

أنواع المشكل عند النسفي في تفسيره.

من المعلوم أن الإشكال في النصوص أمرٌ نسبي، يختلف فيه الناس بحسب ما رزقهم الله من نور العلم، ومُحال أن تجد نصًّا لا يعلم معناه أحدٌ من الناس، ولكن قد يخفى على بعضهم، ويظهر للآخر، وقد أورد النسفي غالب أنواع الإشكال التي ذكرها أهل العلم، ومفهوم المشكل لديه كل ما استغلق فهمه، وعسُر معناه، سواء كان لخفاء معنى، أو لتعارض أو لغيره.

وبالتتبع لمواضع المشكل في تفسيره، يُمكن تقسيم أنواع المشكل التي ذكرها النسفي في تفسيره التيسير إلى عدة أنواع:

المبحث الأول: : المشكل على اللغة والمعاني واستعمال العرب.

كقوله: **"**ثم زاد كلمة (مِنْ) في الأبصار دون الفروج، ...**"**(١).

المبحث الثاني: المشكل على العقيدة.

كقوله: "﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ﴾؛ أي: لا يقدر على نفعٍ ولا ضرٍّ، وهو صفةُ الأصنام. فإنْ قيل: ولِمَ قال: ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ﴾، وهو لو نفعَ وضرَّ لم تجزْ عبادتُه؛ لأنَّها لا تحقُّ إلَّا لله وحدَه"(٢).

المبحث الثالث: المشكل على القراءات.

كقوله: **"** وقرأ الباقون: (لَا يُكَذِّبُونَكَ) بالتشديد، ومعناه: لا ينسبونك إلى الكذب، **وهذا مشكل مع بقية الآية"**(٣).

(١(التيسير في التفسير: (١١/ ١٢٢).

(٢) التفسير في التفسير: (٨/ ١٤٣).

(٣) التيسير في التفسير: (٦/ ٥٥).

المبحث الرابع: المشكل في المعنى

وهو أكثر الأنواع وروداً في تفسير النسفي، كقوله: "فإن قيل: فلمَ قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورا﴾وفي الناس الجواد؟"(١).

المبحث الخامس: المُشكل على علوم القرآن.

كقوله عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة البقرة:١٠٩].قال "فإن قالوا هذه السورة مدنية، والأمر بالقتال كان سابقاً، فما معنى الأمر بترك القتال؟"(٢).

المبحث السادس: المشكل على الإسرائيليات.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة ص:٣٤]. قال: "﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾: إلى الله؛ أي: رجع إليه كما رجع أبوه وأناب واستغفر الله تعالى، فغفَرَ الله له، فسأله المُلْك الذي لا ينبغي لأحد مِن بعده فأعطاه، كما جعل أباه خليفةً في الناس، ووعدَه الزُّلْفى وحُسْنَ مآب. وزلَّ في تفسير هذه الآية بشرٌ كثيرٌ، ورووا فيه رواياتٍ مختلفةً"(٣).

(١) التيسير في التفسير: (٩/ ٤٨٥).
(٢) التيسير في التفسير: (٢/ ٣٩٨، ٣٩٩).
(٣) التيسير في التفسير: (١٢/ ٥٠١).

المبحث السابع: المشكل على التكرار في القرآن.

كقوله: "فإن قالوا: لِمَ كرَّرَهما مع أنه في التسمية ذكَرهما؟"(١). وكقوله: "فإن قالوا: لم كرر الأمر باستقبال الكعبة فقال أولًا:

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ﴾ [سورة البقرة:١٤٩].

وقال رابعاً: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ وقال خامسًا: ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ "(٢) . وكقوله: "فإن قيل: لم كرر ﴿إِيَّاكَ﴾، ولو اكتفى بالأول صح"(٣).

المبحث الثامن: المشكل على السياق والنظم

كقوله: "﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ وهذا مشكلٌ لو حُمِلَ على مطلقِ الفضلِ والرَّحمةِ؛ لأنَّه يصيرُ تقديرُه: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ لا يتّبعونَه بدون فضلِ اللَّه ورحمتِه. وهذا لا يستقيم"(٤).

المبحث التاسع: المشكل على الواقع والحس والعقل

كقوله: "فإن قالوا: إن الكفار شكوا فيه، فلم يقروا بكتاب الله تعالى، والمبتدعون من أهل القبلة شكوا في معاني متشابهاته، فأجروها على ظواهرها، وضلوا بها، والعلماء شكوا في وجوهه، فلم يقطعوا القول على وجه منها، والعوام شكوا فيه، فلم

(١) التيسير في التفسير: (١/ ١١٢).
(٢) يُنظر: التيسير في التفسير: (٢/ ٥١٩).
(٣) التيسير في التفسير: (١/ ١٢٨).
(٤) التيسير في التفسير: (٥/ ١٢٩، ١٣٠).

يفهموا معانيه، فما معنى نفي الريب عنه؟"(١).

المبحث العاشر: المشكل على موهم التعارض

كقوله: "وما ذكر في بعض الآيات من نفي السؤال؛ من قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الرحمن:٣٩].، وقوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة القصص:٧٨]، وأثبتَها في هذه الآية، وفي قوله جل وعلا: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحِجر: ٩٢]".(٢)

المبحث الحادي عشر: المشكل على الأحكام في القرآن.

كقوله: "روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن المهاجرين أتوا المدينة فضاقت عليهم معيشتُهم في ذات أيديهم لغلاء الأسعار بها، وكان في المدينة نساءٌ فواجرُ زوانٍ غيرُ محصنات متَّسعاتٌ في ذات أيديهن، فقال المهاجرون: لو تزوَّجناهن فأحصناهنَّ، فإذا استغنينا عنهنَّ طلقناهنَّ، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وفي الآية أقاويلُ كثيرة، وللناس في العمل بها مذاهب مختلفة"(٣).

المبحث الثالث عشر: المشكل على بعض الفرق الضالة.

كقوله: "قال بعض أهل الإلحاد: إنكم رَوَيتُم عن النبيِّ ﷺأنه قال "إنَّ الشيطان ليَهربُ من البيت الذي يُقرأ فيه القرآن"، فأيُّ حاجةٍ إلى الاستعاذة منه

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٢١٦).
(٢) التيسير في التفسير: (٦/ ٢٨٩).
(٣) التيسير في التفسير: (١١/ ٨٦).

الفصل الثالث: القيمة العلمية للمشكل عند النسفي، وتحته ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مزايا المشكل عند النسفي

إنَّ المتأمل في تفسير أبي حفص النسفي، ليلحظ جهودًا بارزة في دفع الإشكال-الظاهري-بين النصوص؛ وهذا لاعتماده على عدد من المصادر، ووارتكازه على قواعد دفع الإشكال ورفعه، وقد تنوعت طُرق إزالة حلِّ المشكل ورفعه، إمَّا بالجمع بين النصوص، أو بالنسخ، أو بالترجيح. **ومما تميز به النسفي في منهجه في المشكل ما يلي:**

أولاً: أسلوبه في توضيح المشكل وتبيينه يتفسيره القرآن بالقرآن، واعتمادُه عليه في الاحتجاج والبيان، وتميزه في هذا الجانب؛ فلا يكاد يتكلم في مشكلِ إلا وأورد من النصوص القرآنية ما يؤيده ما استطاع لذلك سبيلاً.

ثانيًا: لم يكن النسفي مجردَ ناقلِ لأقوال وآراء من سبقه، بل يدرسها ويناقشها ويرجِّح بينها، ويُعلل لها وعليها.

ثالثاً: اعتماده على السنة النبوية في إيراد المشكل، وتوجيهه، أو رده ودفعه.

رابعاً: تنوع الإشكالات الواردة في كتابه، وتنوع أساليبه في الرد عليها، مما يعطي قيمة علمية للنسفي وتفسيره في هذا الباب، فقد تناول موهم التعارض بين الآيات، وما قد يثار بين القرآن والسنة، أو بين القرآن وقواعد اللغة، أو بين القرآن والحس والواقع وغير ذلك من الأنواع.

خامسًا: من المرتكزات التي اعتمد عليها النسفي عند رفع الإشكال ودفعه استعانته

بقواعد اللغة العربية، وكلام العرب وشِعرِهم، وأقوال جهابذتهم ، مما أثر إيجابًا في رفع الإشكال الوارد بين النصوص وتجليته وتوضيحه.

سادسًا: تميز منهج النسفي بالإيجاز والابتعاد عن الاستطرادات، مكتفيًا بموضع الإشكال، ودفْعِه بلا استطراد ممل، أو اختزالٍ مخل. ولا يتوسع في ذلك إلا نادراً وللضرورة.

سابعًا: ردَّه على الروافض والملاحدة، والجهمية، والجبرية، والمعتزلة، وغيرهم وتبيينه المذهب الحق في ذلك.

ثامنًا: يُكثر من الأقوال التفسيرية، والنكات الخاصة به والتي لم يُسبق إليها أحياناً.

تاسعاً: تميز أقواله بالإيجازُ في البيان، مع متانةِ العبارة، وجمالِ الإشارة، والوصول إلى توضيحِ المعنى بأسهلِ الطرق وأقربها لنفس المتلقِّي

عاشرًا: ردَّه على الروايات المكذوبة والضعيفة الواهية، والأسانيد المغلوطة، وتفنيدها، وتقويمها.

الحادي عشر: حرص النسفي على الترجيح بين أقوال المفسرين، مع حرصه على ذكر سبب الترجيح.

الثاني عشر: تميز بالتحقيق والتدقيق فيما يذكر وينقل، ولم يكن كحاطب ليل، بل له رأي قوي فيما يذهب إليه، ويرويه أو ينقله.

الثاني عشر: لم يغرق النسفي في ذكر الإسرائيليات الباطلة.

المبحث الثاني: المآخذ على المشكل عند النسفي

أبرز المآخذ على منهج النسفي في المشكل مايلي:

أولاً: ذكر القراءات الشاذة مقابل القراءات المتواترة دون التنبيه لشذوذها، أو الإشارة لعدم صحتها، كقوله: "قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (فيه آية بينة) على الواحد؛ لأنه فسره بشيء واحد، وهو قوله تعالى: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾"(١).

ثانيا: نادراً ما يطيل في المشكل في ذكر الجواب، حيث يمكن اختزال بعض الأقوال وضمها لبعض.

ثالثا: أحيانًا ينقل جواب الإمام أبو منصور في المسألة وكأنَّه من قوله. كما في جوابه على المشكل في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]

رابعاً: أكثر النسفي من لعنه لفرق الضلال كلعنه الروافض والملاحدة "قالت الملاحدةُ-لعنهم اللَّه-: هذا كلامٌ لا يُفيد"(٢). وقوله: "وتعلَّقت الروافض-لعنهم اللَّه-بظاهرها لإباحة"(٣).

(١) التيسير في التفسير: (٤/ ١٦٣،١٦٤).
(٢) التيسير في التفسير: (٥/ ٤٣٨).
(٣) التيسير في التفسير: (٤/ ٤٣١).

المبحث الثالث: مصادر المشكل عند النسفي

تنوعت مصادر النسفي في المشكل، ويظهر هذا التنوع في كثرة اعتماده في دفع الإشكال ورفعه على أقوال من سبقه، ونسبة الأقوال لقائليها في الغالب.

ومن مصادره التي نقل منها في موضوع المشكل مايلي:

١-"تأويلات أهل السنة" لمحمدِ بنِ محمدِ بن محمودٍ، أبو منصورٍ الماتريديُّ ت (٣٣٣ هـ).

٢-"لطائف الإشارات" لعبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ بنِ عبدِ الملك القُشيريّ ت (٤٦٥ هـ).

٣-"معاني القرآن" ليحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء ت (٢٠٧هـ).

٤-"معاني القرآن" لإبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج ت (٣١١هـ).

٥-"تفسير مقاتل" لمقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ت (١٥٠هـ).

٦-كتاب "عصمة الأنبياء" لمحمَّد بن يحيى البشاغريّ

٧-"غريب القران" و"تأويل مشكل القرآن" لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت (٢٧٦هـ)

٨-"ديوان امرئ القيس" لامرئ القَيْس بن حُجْرُ بن الحارث الكندي.

٩- "تفسير القفال" لأبي بكرٍ محمَّدُ بنُ عليّ القفَّال الشَّاشي[١] ت (٣٦٥ هـ).

(١) يُنظر: التيسير في التفسير: (٣/ ٣١).

الفصل الرابع: مقارنة المشكل عند النسفي مع المشكل عند الواحدي.

وفيه أربعة مباحث:

لما لعلم مشكل القرآن من أهمية بالغة؛ فقد اعتنى به كبار أئمة التفسير في كتبهم تبييناً وتوضيحاً، وكشفًا وتجليةً، ومنهم الواحدي في تفسيره. وقد اقتصر الباحث في رسالته[1]: مشكل القرآن الكريم في تفسير البسيط للواحدي، على تفسير البسيط دون غيره من كتبه؛ لأنه أطول تفاسيره، وأكثرها بسطاً للمسائل؛ لكثرة الإشكالات فيه، لذا سأقارنُ في هذا الفصل بين المشكل في تفسير النسفي، والمشكل في تفسير البسيط للواحدي.

المبحث الأول: المقارنة بينهما من حيث عدد الإشكالات.

المشكل عند الواحدي لا يخرج عن معنى المشكل لدى النسفي، فهو ما التبس معناه واشتبه على كثير من المفسرين فلم يُعرف المراد منه إلا بالطلب والتأمل. ويشمل ما نصَّ عليه العلماء من قبلُ على إشكاله، وما استشكله المفسر بنفسه، وما ذكر فيه الإشكال بغير نص منه على إشكاله، بل ذكره بعبارة تدل على وجود مشكل ما.

عدد الإشكالات في تفسير الواحدي: (١٥٥) إشكالاً. وجاء التفسيرُ في: (٢٤) مجلد.

عدد الإشكالات في تفسير النسفي: (١٥٠) إشكالاً. وجاء التفسيرُ في: (١٥) مجلد.

---

(١) مشكل القرآن الكريم عند الواحدي (ت٤٦٨هـ) في تفسيره البسيط جمعاً ودراسة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، للباحث: سلطان بن صغير بن نايف العنزي، كلية القرءان الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام: ١٤٣٤-١٤٣٥هـ. قام الباحث بدراسة (١٥٥) موضع في رسالته.

المبحث الثاني: المقارنة بينهما من حيث طريقة عرض المشكل

تنوعت طرق الواحدي في إيراد المشكل، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: أن يبتدئ الإشكال، دون أن يسبقه إليه أحد، وقد يكون في عبارته ما يشعر بهذا.

ثانياً: ينقل الإشكال عن غيره، وسلك في هذا مسلكين

الأول: أن يُصرِّح باسم القائل.

الثاني: ألَّا يُصرّح باسم القائل، ولكن ينقل كلامه بنصه أو فحواه، وهو الغالب في المواضع المشكلة لديه.

ثالثاً: أن يستنبط الإشكال من كلام عالم قبله، دون أن يصرح ذلك العالم بـأنَّ هذا مشكل فيضمر ذلك العالم الإشكال، فيظهره الواحدي ويعبر عنه بأي عبارة، ويجيب عنه.

رابعاً: أن ينصَّ على أنَّ فلاناً أزال الإشكال الذي في الآية، دون أن يذكر الإشكال.

خامساً: أن يورد عدة أقوال في الآية، ثم يورد إشكالاً على أحد هذه الأقوال، وليس بالضرورة أن يختار ذلك القول، فقد يكون ذلك القول راجحاً لديه أو مرجوحًا، ومع ذلك يورد الإشكال عليه، ويجيب عنه.

سادساً: من منهجه أن يغاير بين عبارات وألفاظ الإشكال، فلم يلتزم صيغة معينة في إيراد الإشكال؛ فتارة بلفظ المشكل، وما تصرف منه: نحو: (أشكل)، (يشكل)، (إشكال)، وتارة بغير لفظ المشكل، ولكن يفهم منه الإشكال، نحو: (أعوص)، (أصعب)، (فيه غموض)، وتارة بصيغة السؤال، فإن قيل)، وهذا هو الغالب، وتارة بالسؤال عن كيفية الجمع.

وقد تنوعت طرق النسفي كذلك في إيراد المشكل، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: غالبًا ما يأتي بصيغة المشكل في عبارة مُهذبة مختصرة واضحة.

ثانيًا: قد يذكر في الآية أكثر من سؤال أو إشكال مبني إجابتها بعضها على بعض.

ثالثًا: يورد الإشكال وجوابه مستشهداً عليه بما يؤيده ويُقوّيه.

رابعًا: يذكر المشكل عند بعض الفرق الضالة ولا يُصرح بذكر اسم على التعيين، بل ينسب الأقوال إلى فرقها.

خامسًا: يذكر المشكل غالباً بصيغة (الفنقلة)، فيقول: فإن قيل.

سادسًا: مما يورده من الإشكالات: أ-إشكال آية مع آية: ب-إشكال آية مع حديث،

ج-إشكال آية مع نفسها، د-إشكال آية مع العقل والحس.

سابعًا: قد يُورد إشكالاً له أكثر من سبب.

ثامنًا: يورد الإشكال من عالم سبقه ويجيب عليه. وغالبًا ما يبتدئ هو بذكر الإشكال، وقد يورد إشكالاً لم يُسبق إليه من قبل.

تاسعًا: لا يُصرح أحياناً بلفظ يدلُّ على الإشكال، ويتضح وجوده من أسلوب تناول الآية وتوضيحها ومعالجتها بأنَّ فيها معنىً مشكل.

عاشراً: قد يفترض بعض الإشكالات في أذهان بعض المخالفين أو بعض الفرق الضالة، ويُجيب عنها.

الثاني عشر. يذكر الإشكال ولو كان في نظر الناظر واضحاً بيناً، ويصِم من أشكَلَ عليه بالبلادة وضعف العقل، ويجيب عنه، بإجابة مفصلة وافية.

الثالث عشر: في جوابه لما يوهم التعارض دائما قبل ذكره للجواب ينفي تمامًا وجود التعارض من جميع وجوهه، أو أنَّ الآيتين يوفق بينهما.

الرابع عشر: يُغاير في التعبير عن المشكل في الآية.

المبحث الثالث: المقارنة بينهما من حيث الجواب عنه.

منهج الواحدي في دفع المشكل:

لم يختلف منهج الواحدي في دفع المشكل عن منهجه في إيراد المشكل، وبيان ذلك في النقاط التالية:

أولاً: يجيب عن الإشكال ويدفعه باختيار أحد الأقوال في الآية.

ثانياً: أن ينقل الجواب ودفع الإشكال عن العالم نفسه الذي نقل عنه الإشكال، وقد ينص على اسمه، وقد لا ينص.

ثالثاً: أن يكتفي بجواب غيره.

رابعاً: أن يورد جواب غيره، ثم يزيد عليه.

خامساً: أن يتوقف في الجواب ودفع الإشكال.

سادساً: أن يزيل الإشكال بتفسيره للآية.

سابعاً: أن يحيل في دفع الإشكال على كلام متقدم له.

ثامناً: أن يبدأ الجواب في الغالب بقوله: (فيقال) أو (قيل)، أو: (والجواب عنه) أو (والجواب أن يقال)، لا سيما إذا بدأ الإشكال بقوله: فإن قيل.

منهج النسفي في دفع المشكل:

المتأمل في أجوبة النسفي على إشكالاته يرى وبجلاء أنه قد سار على منهج واضح المعالم، ومن معالمه:

أولاً: كثيرًا ما يهتم بتفسير القرآن بالقرآن، والاستشهاد لأوجه الدفع بشواهد قرآنية.

ثانيًا: في تصديره للأجوبة غالباً يذكر عبارة (قلنا) .

ثالثًا: لديه حسن تنظيم للمعلومات، وجودة ترتيب تعدادي.

رابعًا: يستشهد كثيرًا لحل المشكل بلغة العرب والشعر العربي الفصيح.

خامسًا: عند ذكره لأكثر من وجه قالع للإشكال، قد يرجح أحد الأوجه ويستدل عليه أو يُعلل له.

سادسًا: يذكر من أخذ منهم القول المزيل للإشكال غالباً. وإن كان الجواب من الإمام أبي منصور يذكره غالبًا بلقبه مصرحاً به.

سابعًا: يكثر من السنة النبوية، والآثار في جوابه على الإشكال.

ثامنًا: يُصحح أحياناً جميع الوجوه وجميع الأجوبة على الإشكال في الآية، وغالباً ما تكون كذلك.

تاسعًا: يحكي أقوال من سبقه في الجواب غالباً بقوله: قيل وقيل.

عاشراً: أحيانًا لا يذكر جميع الأقوال في الرد على المشكل إن لم تكن لديه قوية، ويختار الأقوى منها.

الثاني عشر: يبدأ في جوابه عن الإشكال في الغالب بالقول الراجح في المسألة لديه، ثم يتبعه بما هو دونه في الصحة.

المبحث الرابع: المقارنة بينهما من حيث صيغ المشكل.

صيغ المشكل عند الواحدي:

١- لفظ "المشكل" وما تصرف منه.

٢- إيراد الإشكال بصيغة السؤال: "فإن قيل"، أو " إن قال قائل"

٣- السؤال عن وجه الآية: فيقول "ما وجه قوله".

٤- السؤال عن وجه الجمع بين الآيات: "فكيف نجمع بين الآيتين".

٥- التعبير بلفظ الإبهام، كأن يقول: "ظاهر نظم الآية يوهم"

٦- التعبير عن الإشكال بغير لفظ المشكل، كأن يقول: "هذه الآية من أعوص ما في القرآن" " ومعن هذه الآية فيه غموض"، " وهذه الآية من أصعب مافي القرآن".

٧- أن ينفي بيان العلماء لهذه الآية بما يكفي ، كأن يقول: " هذه الآية كثرت فيها الأقاويل، ولم يقع لها شرح شاف، ولا بيان لتفسيرها كاف".

صيغ المشكل عند النسفي:

١- يستخدم لفظ "أشكل "وما تصرف منها.

٢- يستخدم في موهم التعارض: "فكيف جمع بينهما".

٣- يستعمل عبارة: "فإن قالوا... فما معنى".

٤- يستعل أسلوب السؤال والاستفهام.

٥- يستعمل: "فقد قال.. ثم قال" وهذا يعني أنَّ هناك ما يشكل.

٦- يعبر عن المشكل بعبارة: "فإن قال لنا".

٧- يُعبِّر أحيانًا بقوله: "وفي الآية غموض، ولأهل التفسير فيها وجوهًا".

٨- يُورد عبارة: "ثُمَّ هذا في الظاهر".

٩- يذكر الآيتين المشكلة في ظاهرها دون الإشارة لوقوع إشكال من لفظه، وإنما من مفهوم من فعله، ويجيب عليه، أو يذكر آيتين في موقف واحد ومختلفتين من جهة، ويبدأ في دفع الإشكال عنهما.

١٠- يستعمل عبارة "كثرت فيه الأقاويل". أويقول "اختلفت الأقاويل والتأويلات في الآية" أو: "وتكلَّمَ النَّاسُ في هذه الآية وأكثروا؛ لأنَّ ظاهرَها"، أو يقول: "وفي الآية أقاويلُ كثيرة، وللناس في العمل بها مذاهب".

١١- أن يذكر أنَّ في تفسير الآية زوائد كاذبة وباطلة، وأقاويل كثيرة، ويشرع في ذكرها وتفنيدها، والرد عليها والاستدلال عليها.

المبحث الرابع: المقارنة بينهما من حيث أنواع المشكل.

أنواع المشكل عند الواحدي

أورد الواحدي الله غالب أنواع المشكل التي ذكرها أهل العلم، فما من نوع إشكال يذكره أهل العلم، وإلا وترى له مثالاً في المواضع المشكلة التي أوردها الواحدي.

وإذا قيل إن المشكل: يشمل كلما أشعر ظاهره بالإحالة عقلا أو شرعًا، وما استغلق فهمه، أو تعسر تأويله، وسواء أكان ذلك لتعارض أم لغير تعارض، وسواء أكان التعارض بين الآيات نفسها، أم بين الآيات والأحاديث، أو بينها وبين أصل من أصول الإسلام، أو بينها وبين مقررات العقول؛ فإن أنواع المشكل عند الواحدي مندرجة في هذا، لذا سيمر بك في هذا البحث مشكل المعنى، وما يوهم التعارض- سواء كان بين الآيات أو بين آية وحديث، أو بين الآية والحس والواقع المشاهد- ومشكل القراءات، مشكل الحصر، ومشكل التكرار.

أنواع المشكل عند النسفي في تفسيره:

أورد النسفي كذلك غالب أنواع المشكل التي ذكرها أهل العلم، فمنها: المُشكل على فواتح السور، والمشكل على العقيدة. والمشكل على القراءات. والمشكل على المعنى. والمُشكل على علوم القرآن. والمشكل على التكرار في القرآن. والمشكل على السياق والنظم. والمشكل على الواقع والحس. والمشكل على موهم التعارض. والمشكل على الأحكام في القرآن. والمشكل على اللغة والمعاني واستعمال العرب. والمشكل على بعض الفرق الضالة.

القسم الثاني: مشكل القرآن عند النسفي، دراسة تطبيقية

المسألة الأولى: المشكل في الاستعاذة

نص الإشكال:

أورد النسفي إشكالاً يتعلق بالاستعاذة، فقال: "قال بعض أهل الإلحاد: إنكم رَوَيتُم عن النبيّ ﷺأنه قال: (إنَّ الشيطان ليَهربُ من البيت الذي يُقرأ فيه القرآن)، فأيُّ حاجةٍ إلى الاستعاذة منه؟"(١).

تحرير محل الإشكال:

وردت نصوصٌ عديدة في السُّنة بأنَ الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه البقرة، كقوله ﷺ: (إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)(٢)، وأنَّه يهربُ من البيت الذي يُقرأ فيه القرآن؛ لأن قراءة القرآن من الأذكار، والأذكار حفظ من الرحمن، وحرز -بإذن الله-من الشيطان، فأشكل على أهل الإلحاد بأن لا ضرورة للاستعاذة؛ لأنَّ قراءة القرآن تقوم بوظيفة الاستعاذة فتطرد الشيطان، هذا مع وجود النص، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة النحل:٩٨].لم يورد هذا الإشكال أحدٌ من المفسرين.

جواب الإشكال:

أجاب النسفي عن الإشكال بأربعة أجوبة، فقال: "**أحدها:** أنَّا تُعُبِّدْنا به، فلا عُدولَ عنه بمثلِ هذا. **والثاني:** أن هذا الوعدَ في حقِّ مَن قرأه وعَمِلَ به، فقد قال ﷺ: (إذا لم يَنْهَكَ القرآنُ فلستَ بقارئ)، وفي العمل به خللٌ، فلم يَثِقْ بنيله، فلا يُستغنى

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٢١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد برقم (٧٨٠).

عن سؤاله. **والثالث:** أن الشيطان يجتهد في أن يَصرفه عن هذه العزيمة، فيدفعُه بالاستعاذة، وأسعى ما يكون الشيطانُ في إفسادِ حالِ الإنسان عند قَصْدِه مكالمةَ الرحمن، فيَجتهِد في دفعِ شرّه بالاستعاذة الآن. **والرابع:** أن الغرض به ما قال جعفرٌ الصادقُ ﷺ: التعوُّذ تطهيرُ الفم عن الكذبِ والغيبة والبهتان؛ تعظيمًا لقراءة القرآن، إذ هو الاستئذانُ لمكالمة الله تعالى بالقرآن"(١).

الدراسة:

هذا الإشكال من مشكل المعنى، وسببه: اعتقاد خاطئ، وإقحامٌ للعقلِ في مخالفة الكتاب والسنة.

أورد النسفي أربعة أجوبة لدفع الإشكال، سأتناولها بالدراسة:

الجواب الأول: أنَّا تُعُبِّدْنا به فلا عُدولَ عنه بمثلِ هذا.

وهذا لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة النحل:٩٨]. وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [سورة الأعراف:٢٠٠]، فالأمر بالاستعاذة في الآيتين دلالة على كونها عبادة؛ لأنَّ الله ندب إليها، وأمر بها، وكما يقول الطبري: "وليس قوله: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ بالأمر اللازم، وإنما هو ندب وإعلام؛ ولا خلاف بين الجميع أن من قرأ القرآن ولم يستعذ قبل قراءته أنه لم يضيع فرضًا واجبًا"(٢). وهي دعاء، واستجارة بالله من وساوس الشيطان، وامتثال لما أمر به نبيه ﷺ؛ ولأننا علمنا من السنة كذلك أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يقرأ القرآن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، كما في حديث: (كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر، ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»، ثم يقول: «لا إله إلا الله»

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٢١، ٢٢).
(٢) يُنظر: تفسير الطبري: (١٤/ ٣٥٧).

ثلاثاً، ثم يقول: «الله أكبر كبيراً» ثلاثاً، «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه، ونفخه، ونفثه»، ثم يقرأ)(١). فحاصل هذه النصوص أن التعوذ مشروع قبل التلاوة.

الجواب الثاني: أن هذا الوعدَ في حقِّ مَن قرأه وعَمِلَ به، فقد قال ﷺ (إذا لم يَنْهَكَ القرآنُ فلستَ بقارئ)(٢)، وفي العمل به خللٌ، فلم يَثِقْ بنيله، فلا يُستغنى عن سؤاله.

وهروب الشيطان من بيت قارئ القرآن ما دام القارئُ مؤتمرًا بأمره، منتهيًا بنهيه وزجره، قارئًا له بحقه، عاملاً بما فيه، فقد جاء في كلام شُرَّاح الحديث أنَّ هروبه من البيت الذي تُقرأ البقرة فيه بسبب أنَّه "ييأس من إغواء أهله ببركة هذه السورة، أو لما يرى من جدهم في الدين واجتهادهم في طلب اليقين"(٣). وهذا دليلُ على أنَّ المقصد العمل والجدَّ والاجتهاد في تطبيقها، لا مجرد تلاوتها.

---

(١) أخرجه أبو داوود في سننه، أبواب تفريع استفتاح الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك، حديث رقم (٧٧٥). [حكم الألباني]: صحيح. يُنظر: سنن أبي داود: ت: محمد محيي الدين: (١/ ٢٠٦). وفُسِّر همزه بالموتة وهي شبه الجنون، ونفخه بالكبر؛ لأن الشيطان ينفخ فيه حتى يعظمه، ونفثه بالشِّعر. يُنظر: شرح مسند الشافعي: القزويني: (١/ ٣١٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير للطبراني، عن عَبدُ الله بنُ عَمْرو بنِ العاصِ، برقم: (١٤٥٤٣). بلفظ: (اقْرَأِ القُرْآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِنْ لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَؤُه). [حكم الألباني]: (ضعيف). يُنظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته: الألباني: (ص: ٤٥٤). وللحديث شاهد مرسل، أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ق ١/٢٤). يُنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: (٦/ ٣٦).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الهروي: (٤/ ١٤٦٠).

وكذلك هذا الواعد خاص بأهل القرآن، وهم: القائمون بآدابه(١). فلا يسمون أهلهُ مالم يعملوا به. ولا تقوم الحجة بالقرآن إلا باتباعه، "إن عملت به واهتديت بأنواره كان حجة لك، وإن أعرضت عنه كان حجة عليك(٢). فلو أخلَّ القارئ بالعمل فاته الوعد؛ فاحتاج للاستعاذة لسؤال الله أن يُبعد عنه الشيطان وغوائله؛ لينال خير القراءة وبركتها.

الجواب الثالث: إنَّ الشيطان يجتهد في أن يَصرفه عن هذه العزيمة، فيدفعُه بالاستعاذة. وأسعى ما يكون الشيطانُ في إفسادِ حالِ الإنسان عند قَصْدِه مكالمةَ الرحمن، فيَجتهِد في دفعِ شرِّه بالاستعاذة الآن.

فالاستعاذة تدفع كيد الشيطان ومعارضته عند القراءة وعند عزيمة العبد على جمع قلبه، والتفكر في آيات ربه، قال **ابن تيمية** في ذلك: "وهذا مما يجده كل مؤمن من نفسه، فالشيطان يريد بوساوسه أن يشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن، فأمر الله القارئ، إذا قرأ القرآن أن يستعيذ منه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَانٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النحل:٩٨-١٠٠]، فإن المستعيذ بالله مستجير به، لاجئ إليه، مستغيث به من الشيطان، فالعائذ بغيره مستجير به؛ فإذا عاذ العبد بربه كان مستجيراً به، متوكلاً عليه؛ فيعيذه الله من الشيطان، ويجيره منه"(٣). فالله يأمرنا بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا

(١) يُنظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (٤/ ١٤٦٠).
(٢) التعيين في شرح الأربعين: الصرصري: (١/ ١٨٠).
(٣) الإيمان لابن تيمية: (ص: ٢٢٢، ٢٢٣).

محالة؛ إذ لا يقبل مصانعة ولا إحساناً، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم؛ لشدة العداوة بينه وبين آدم كما ذكر **ابن كثير** في مقدمته(١). فيُحفظ المرء من أن يلبس عليه قراءته، ويمنعه من التدبرّ، ويصرفه عنها.

الجواب الرابع: أن الغرض به ما قال جعفرٌ الصادقُ (٢) ﷺ: التعوُّذ تطهيرُ الفم عن الكذبِ والغيبة والبهتان؛ تعظيمًا لقراءة القرآن، إذ هو الاستئذانُ لمكالمة اللَّه تعالى بالقرآن(٣).

ومقصده أنَّ الاستعاذة كالتخلية عن كل فاسدٍ ورديء، وهو ما بيَّنه **ابن القيم** من حكمة أمره سبحانه بالاستعاذة به من الشيطان عند قراءة القرآن، فقال: "إن القرآن شفاءٌ لما في الصدور، يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس، والشهوات، والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أَمَرَّه فيها الشيطان، فأمر أن يطرد مادة الداء، ويخلي منه القلب؛ ليصادف الداء محلاً خالياً، فيتمكن منه، ويؤثر فيه، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب، وقد خلا من مزاحم ومضاد له،

---

(١) يُنظر: مقدمة تفسير ابن كثير: (١/ ٢٦).

(٢) **جعفر بن محمد الصادق**: وهو ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، وُلِدَ سنة ثمانين، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلمًا وفضلاً، روى عن أبيه، ونافع، وعطاء، والزهري، وغيرهم. وتوفى سنة (١٤٨)ه. يُنظر: رجال صحيح مسلم: ابن مَنْجُويَه: (١/ ١٢٠، ١٢١)، تهذيب الأسماء واللغات: النووي: (١/ ١٥٠).

(٣) لم أجد مصدره.

فينجعفيه"(١).

والحديث الذي ذكره النسفي قوله ﷺ: (إنَّ الشيطان ليَهربُ من البيت الذي يُقرأ فيه القرآن) لم أجده بلفظه في دواوين السنة(٢)، وإنما الصحيح الثابت: قوله ﷺ: (إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)(٣)، وهو مما يذكره الشُّراح في خصوصية سورة البقرة: فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه البقرة؛ لأنه يئس من إغواء أهله وتسويلهم؛ لما يرى من جدهم في الدين ورسوخهم في الإسلام، وهذا لاشتمالها على الحكم والشرائع، والقصص والمواعظ، والوقائع الغريبة والمعجزات العجيبة، وذكر خالصة أوليائه، والمصطفين من عباده، وتفضيح

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ابن القيم: (١/ ٩٢). وقد ذكر فوائد أخرى كثيرة ونافعة لمشروعية الاستعاذة قبل القراءة، فليرجع لها. يُنظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: (١/ ٩٢- ٩٤).

(٢) وغاية ما وجدتُ في معناه ما رواه الدارمي في سننه، ومن كتاب فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن، حديث رقم (٣٣٥٢). من قول أبي هريرة بلفظ: (إن البيت ليتسع على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره أن يقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن). [تعليق المحقق] إسناده صحيح وهو موقوف على أبي هريرة. يُنظر: سنن الدارمي: ت:حسين الداراني: (٤/ ٢٠٨٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، رقم (٧٨٠).

الشيطان ولعنه، وكشف ما يتوسل به إلى تسويل آدم وذريته(١).

الخلاصة:

بعد النظر في توجيه النسفي لشبهة بعض أهل الإلحاد-بأن لا ضرورة للاستعاذة عند القراءة، وقراءة القرآن تقوم بوظيفة الاستعاذة في طرد الشيطان-يُعلم أنَّ الأجوبة الأربعة التي ذكرها النسفي صالحة لدفع الإشكال، وتؤيدها نصوص الكتاب والسنة وأقوال العلماء، ومن أهمها عدم إقحام العقل مع وجود النص فالأدلة النقلية الصحيحة من كتاب الله ﷻأو من سنة نبيه ﷺ، ولا يمكن أن يكون العقل السليمُ الصحيحُ الخالي عن الأهواء والشهوات مخالفًا لها، بل يؤيدها وينصرها. والله أعلم.

(١) يُنظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: البيضاوي: (١/ ٥٢٢).

۞ المشكل في سورة الفاتحة ۞

المسألة الثانية

المشكل في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣].

نص الإشكال:

أورد النسفي إشكالاً يتعلق بهذه الآية، فقال: "فإن قالوا: لِمَ كرَّرَهما مع أنه في التسمية ذكَرهما؟"(١) .

تحرير محل الإشكال:

نزل القرآنُ الكريم بلسانٍ عربيٍّ مُبين، ومن مذهبهم الايجاز والاختصار وارادة التخفيف، ولا يكررون إلا لغاية، وفي سورة الفاتحة تكرَّرَ اسما: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾في بداية الفاتحة، مع البسملة، وأصبحت السورة كالآتي: ((بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم). فما الفائدة من إعادتهما، وما الداعي لتكرارهما؟

لم يورد هذا الإشكال أحدٌ من المفسرين.

جواب الإشكال:

أجاب النسفي عل الإشكال بخمسة أجوبة فقال: **"الأول:** ليُعلم أنَّ التسميةَ ليست من الفاتحة، ولو كانت منها لَمَا أعادهما؛ لخُلُوِّ الإعادة عن الإفادة. **الثاني:** أنه ندبَ العباد إلى كثرة الذِّكر، فإن مِن علامة حبِّ اللَّه حبَّ ذكره، وفي الحديث: (مَن أحبَّ شيئًا أكثرَ من ذكره). **الثالث:** أنه ذكر أنه ربُّ العالمين، فبيَّن أنَّ ربَّ العالَمين هو الرحمن الذي يرزقهم في الدنيا، الرحيمُ الذي يغفر لهم في العُقبى، ولذلك ذكر بعدَه:

---

(١) التيسير في التفسير: (١/ ١١٢).

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾. **الرابع:** أنه ذكر الحمدَ، وبالحمد تُنال الرحمةُ، فإنَّ أولَ مَن حمد اللَّه تعالى من البشر آدم، عطس فقال: الحمد للَّه، وأجيب للحال: يرحمك ربُّك، ولذلك خلقتُك، فعلَّم خَلْقَه الحمدَ، وبيَّنَ أنهم ينالون رحمتَه بالحمد. **الخامس:** أن قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ترهيبٌ، وقولَه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ترغيبٌ، فجمع بين الرَّغبة والرَّهبة؛ ليكون ذلك أعونَ للناس على طاعته، وأمنعَ من معصيته"(١).

الدراسة:

هذا الإشكال من مشكل اللفظ، وسببه: التشابه والتكرار.

أورد النسفي أجوبة لدفع الإشكال، سأتناولها بالدراسة:

الجواب الأول: ليُبين بأنَّ البسملة ليست من الفاتحة، إذ لو كانت منها لما كان في تكرارها إفادة. وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن البسملة آية من كل سورة من سور القرآن، ما عدا سورة (براءة).

القول الثاني: أن البسملة ليست آية من الفاتحة، ولا من القرآن وإنما هي للتبرك.

القول الثالث: المذهب الوسط بين القولين المتعارضين، أنَّها قرآنٌ، وليست آية من كل سورة، أو آية من سورة الفاتحة بالذات، وإنما هي آية من القرآن وردت للفصل بين السور(٢).

---

(١) التيسير في التفسير: (١/ ١١٣).

(٢) يُنظر: الشافي في شرح مسند الشافعي: ابن الأثير: (١/ ٥٤٥)، شرح النووي على مسلم: (٤/ ١٠٤)، عون المعبود: العظيم أبادي: (٣/ ٢٩) النفح الشذي شرح جامع الترمذي: اليعمري: (٤/ ٣٢٤)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: البقاعي: (١/ ٤٧٨-

والراجح: القول الثالث؛ لأدلة كثيرة ذكرها أهل العلم(١)، وفي ذلك يقول **ابن تيمية**: "والصواب أن البسملة آية من كتاب الله، حيث كتبها الصَّحابة في المصحف، إذ لم يكتبوا فيه إلا القرآن، وجردوه عما ليس منه، كالتخميس والتعشير وأسماء السور؛ ولكن مع ذلك لا يقال هي من السورة التي بعدها، كما أنها ليست من السورة التي قبلها، بل هي كما كتبت آية، أنزلها الله في أول كل سورة، وهذا أعدل الأقوال الثلاثة في هذه المسألة"(٢).

فيصحُّ على الراجح قولُ النسفيّ بأنها ليست بآية منها، ولكن لا يُسلَّم قوله: "إذ

---

٤٨٤)، مناهل العرفان: الزرقاني: (١/ ٣٤٢).

(١) ومن الأدلة أنها ليست آية من الفاتحة: حديث أبي هريرة ﷺ الذي أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، حديث (٣٩٥) قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي...) الخ، قالوا: فقوله سبحانه: «قسمت الصلاة» يريد الفاتحة، وسمّاها صلاة؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بها، فلو كانت البسملة آية من الفاتحة لذكرت في الحديث القدسي. **وأيضًا:** روى مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، حديث (٣٩٩)، من حديث أنس ﷺ قال: (صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فكانوا يستفتحون ب﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ، لا يذكرون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [الفاتحة: ١] في أول قراءة ولا في آخرها). **وأيضًا:** لو كانت البسملة من الفاتحة لكان هناك تكرار في وصفين: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وذلك مخلّ ببلاغة النظم الجليل. **وأيضاً:** هي آية من سورة النمل قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]: فهي آية من القرآن إجماعًا.

(٢) يُنظر: الفتاوى الكبرى: ابن تيمية: (٢/ ١٨٢).

لو كانت منها لما كان في تكرارها إفادة"، فهذا على اطلاقه غير صحيح؛ إذ ليس بلازمٍ أن يكون كل تكرارٍ خِلْوٌ من إفادة، وهو كما قال **الباقلَّاني**(١): "ليس في هذا شيء من التكرار المستكره بل هو الفصاحة وما عليه عادة أهل الخطاب"(٢). والأصل تجنب ادعاء التكرار في القرآن ما أمكن، لكن ليس معناه أن يُنفى بالكُلِّية، أو يُرى كمثلبة يجب التخلص منها حيثما وجدت

ويكفي من غرضه ما بيَّنه **الزركشي**(٣) بقوله: "عادة العرب في خطاباتها إذ أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدًا، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد؛ لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة، وكلها داعية إلى الشهوات، ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع...

---

(١) **القاضي أبو بكر**، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ سكن بغداد. وكان ثقة عرافًا بالكلام، صنَّف الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، من فقهاء المالكية، من آثاره: "إعجاز القرآن". وتوفي سنة (٤٠٣)ه.

يُنظر: وفيات الأعيان: ابن خلكان: (٤/ ٢٦٩- ٢٧٠): الوافي بالوفيات: الصفدي: (٣/ ١٤٧).

(٢) الانتصار للقرآن: الباقلاني: (٢/ ٨٠٥).

(٣) **بدر الدين**، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. أخذ عن الإسنوي، ومغلطاي، وابن كثير، وغيرهم. وألَّف تصانيف كثيرةٍ في عدَّةِ فنونٍ، منها: الخادم على الرافعي، وشرح البخاري، والبرهان في علوم القرآن. توفي سنة (٧٩٤هـ). يُنظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: السيوطي: (١/ ٤٣٧). طبقات المفسرين: للأدنه وي: (ص: ٣٠٢).

الخ"(١).

فيكفي في حكمته أن يُقال بأنَّ هذا الأمر تكرر ليتقرَّر معناه في النفس، ويثبت في الصدر، والقاعدة: "التكرير يدل على الاعتناء"(٢). وأراهُ من أقوى الأدلة على إعجاز القرآن أنه جاء بأسلوب التكرار فعذُبَ مع ذلك وراق.

الجواب الثاني: أنه ندبَ العباد إلى كثرة الذِّكر، فإن مِن علامة حبِّ اللَّه حبَّ ذكره. وفي الحديث: (مَن أحبَّ شيئًا أكثرَ من ذكرِه)(٣).

ولا تلازم بالضرورة بين ندب الله عباده إلى كثرة الذكر وبين تكرار اسمين في البسملة وثاني آية من السورة في حال القول بأنَّ البسملة ليست من الفاتحة، أو بين أول آية وثالثها في حال القول بأنَّ البسملة من الفاتحة، ولئن كان ذكره هو الغاية؛ لندب لذكره باسمين آخرين سواهما، والقاعدة التأسيس أولى من التأكيد.

الجواب الثالث: أنه ذكر أنه ربُّ العالمين، وهو رازقهم في الدنيا، راحمهم في العقبى، ولذلك ذكر بعدَه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

وهي من المناسبات الحسنة بين الآيتين، أما في البسملة فجاء الاسمان بعد لفظ (الله) أوسع أسماء الجلالة، مضافاً إليه الرحمة التي سبقت غضبه ونقمته، مضافًا إليه الرحمة الخاصة بالمؤمنين، فرحمته العامة ثابته لجميع المخلوقات، ورحمته الخاصة ثابته لأهل الإيمان، ثم أعاد الاسمين في سورة الفاتحة؛ ليُبين أنَّه المُربِّي لخلقه الرحمن الذي ييسر لهم أرزاقهم في الدنيا، الرحيم الذي يغفر لهم يومَ الدين،

---

(١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي: (٣/ ٩).

(٢) مختصر في قواعد التفسير: السبت: (ص: ٢٥).

(٣) أورده السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه إلى مسند الفردوس، عن عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث: (١٢١٢٠). [حكم الألباني]: (ضعيف). ينظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته: (ص: ٧٧١).

فليس هناك على هذا التخريج تكرار يخلو من فائدة.

الجواب الرابع: أنه ذكر الحمدَ، وبالحمد تُنال الرحمةُ.

وقريب منه ما ذكره **الكرماني**(١) فقال: "وجب الحمد لله؛ لأنه الرحمن الرحيم"(٢). ولا شكَّ أنَّ من اتَّصف برحمة شاملة للخلائق، ورحمة خاصة بأهل الإيمان مُستحق للحمد؛ لجميل إنعامه العام والخاص، وهي كذلك من المناسبات الحسنة بين الآيتين كذلك. "والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له"(٣)، فحمده وصفه تعالى بكمال الصفات مع كمال المحبة والتعظيم، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، وكلما كان العبدُ لربه معترفاً بفضله، مُثنيًا عليه، مُحباً مُعظماً له؛ كان أقرب لرحمة الله؛ لأنَّ الرحمة قريبة من الحامدين، فعلَّم خَلْقَه الحمدَ، وبيَّنَ أنهم ينالون رحمتَه بالحمد، فتكرار الاسمين لأجل هذا المعنى. ويؤيده ما جاء في الحديث: (أنَّ آدم عليه السلام أوَّل ما عطس قال: الحمد لله، وأُجيب: يرحمك الله)(٤).

---

(١) محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي: المعروف بتاج القراء، أحد الفقهاء، صاحب التصانيف والفضل، دقيق الفهم، وحسن الاستنباط. من تصانيفه: «لباب التفسير»، و«البرهان في متشابه القرآن. كان في حدود الخمسمائة، وتوفي بعدها. يُنظر: معجم الأدباء: الحموي: (٦/ ٢٦٨٦، ٢٦٨٧)، بغية الوعاة: السيوطي: (٢/ ٢٧٧)، طبقات المفسرين: للداوودي: (٢/ ٣١٢، ٣١٣).

(٢) يُنظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: الكرماني: (١/ ١٠٠).

(٣) جامع الرسائل :لابن تيمية: (٢/ ٥٧).

(٤) أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب (بعد باب ومن سورة المعوذتين) ، رقم الحديث (٣٣٦٨). ولفظه: (لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: رحمك الله يا آدم). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ من رواية زيد بن أسلم، عن أبي صالح،

الجواب الخامس: أن قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ترهيبٌ، وقولَه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ترغيبٌ، فجمع بينهما؛ ليكون ذلك أعونَ للناس على طاعته، وأمنعَ من معصيته.

وهو ما ذهب إليه شارح البخاري حيث قال: أن الله تعالى لما ابتدء كتابه بالحمد لله رب العالمين بعد البسملة عَلِم سبحانه أن النفوس ترهب من ذلك، فعقبة بقوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع من معصيته، ونظيره: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [سورة غافر:٣].(١).

وأجاب غيره من المفسرين بالأجوبة الآتية:

الجواب السادس: أنَّ تكرار الرحمن الرحيم وإن كانت التسمية آية من الفاتحة فيه تنبيه على عظم قدر هاتين الصفتين، وتأكيد أمرهما. قاله الكرماني(٢)، وأبو حيَّان(٣). فالتكرير تأكيدٌ للرحمة، وعنايةٌ بها، ومع ذلك عقبهما بقوله ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]؛ لئلا يغتروا(٤).

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. [قال الألباني] : حسن صحيح، ينظر: سنن الترمذي: ت شاكر: (٥/ ٤٥٤).

(١) يُنظر: شرح البخاري: السفيري: (١/ ٦١، ٦٢).

(٢) يُنظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: (١/ ١٠٠).

(٣) يُنظر: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان: (١/ ٣٥).

(٤) يُنظر: شرح البخاري: السفيري: (١/ ٦٢).

الجواب السابع: فيه ردٌّ على من قال بأنَّ التسمية ليست بآية من الفاتحة؛ إذ لو كانت آية منها لكنَّا قد أتينا بآيتين متجاورتين بمعنى واحد، وهذا لا يوجد إلا بفواصل تفصل بين الأولى والثانية، والفصل بينهما ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ليس بفصل؛ لأنَّه مؤخرٌ يراد به التقديم، تقديره: الحمد لله، الرحمن الرحيم، رب العالمين؛ لأن مجاورة الرحمة بالحمد أولى، ومجاورة الملك بالملك أولى. وهذا القول من التعسف الشديد الذي لم يقله أحد من المتقدمين، وهو مدخول من غير وجه؛ فإنَّ الترتيب القرآني جاء في غاية الفصاحة؛ لأنه تعالى وصف نفسه بصفة الربوبية، وصفة الرحمة، ثم ذكر شيئين، أحدهما ملكه يوم الجزاء، والثاني العبادة، فناسبت الربوبية للملك، والرحمة العبادة، فكان الأول للأول، والثاني للثاني، ذكر القول وردّه الكرماني(١)، وأبو حيان(٢).

ورده صحيح؛ فالقاعدة: القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير، كما قال **ابن تيمية:** "الأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه"(٣).

الجواب الثامن: كرر لأن الرحمة هي الإنعام على المحتاج، ولم يكن في الآية الأولى ذكر المنعم عليهم، فأعادها مع ذكرهم، فقال: رب العالمين الرحمن لهم يرزقهم، الرحيم بالمؤمنين يوم الدين. ذكره النيسابوري(٤).

فقوله: ﴿رَبِّ﴾: صفة لله، أو بدل منه مجرور بالكسرة. و﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور وعلامة جرِّه الياء. و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: صفتان لله تعالى أيضاً، فربُّ

(١) يُنظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: (١/ ١٠١).
(٢) يُنظر: البحر المحيط في التفسير: (١/ ٣٦).
(٣) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: (١٦/ ٢١٨).
(٤) يُنظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: (١/ ١٠٠).

العالمين هو الرحمن الرحيم بهم ﷻ.

الخلاصة:

بعد النظر في توجيه المشكل الذي ذكره النسفي في الآية، من تكرار اسمي: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾في الفاتحة بعد ذكرهما في التسمية، يترجح ما قاله الشيخ ابن عثيمين: أنَّ القرآن الكريم ليس فيه شيء مكرر لغير فائدة إطلاقاً؛ لأننا لو قلنا ذلك لكان في القرآن ما هو لغوٌ، وهو منزه عن ذلك(١).

فعليه التكرار فيه من الفوائد اللفظية والمعنوية ما لا يجعله تكرارً محضاً. والجواب **الأول** صالحٌ لدفع الإشكال، دون ما ذكر أنَّ كل إعادة هي خلو من الإفادة، ويندفع الإشكال كذلك بالأجوبة: **الثالث، والرابع، والسادس، والثامن،** وهي على قاعدة: "متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد والتأسيس، فحمله على التأسيس؛ لأنه أولى"(٢).

أمَّا **الجواب** الثاني، والخامس، والسابع، فقد بيَّنتُ ما فيها، ولا يندفع الإشكال بها.

والله أعلم.

(١) يُنظر: تفسير العثيمين: جزء عم: (ص: ٣٣٧، ٣٣٨).

(٢) اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل: (١١/ ١٢).

المسألة الثالثة

المشكل في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

نص الإشكال:

أورد النسفي إشكالاً يتعلق بهذه الآية، فقال: "فإن قيل: لم كرر ﴿إِيَّاكَ﴾، ولو اكتفى بالأول صح"(١)؟

تحرير محل الإشكال

ما السرُّ في تكرار ضمير الفصل ﴿إِيَّاكَ﴾، ولو قال: ((إياك نعبد ونستعين))، لصحَّ إذ كان المخبر عنه أنه المعبود هو ذاته المخبر عنه أنه المستعان، فلمَ لم يقتصر على ذكْره مرة ،كما اقتصر على ذكر أحد المفعولين في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضُّحى: ٣]؟

أورد هذا الإشكال: الطبري(٢)، والراغب الأصفهاني(٣).

جواب الإشكال:

أجاب النسفي عن الإشكال بجوابين فقال: "(إيَّا) في أول الكلام كالكاف في آخره، ولو قال: نعبدك ونستعينك، احتيج إلى تكرار الكاف، فكذلك (إيَّا)، ولأن تكراره تحقيق لكل واحد منهما مفردًا؛ أي: نعبدك لا غير، ونستعين بك لا غير"(٤).

الدراسة:

---

(١) التيسير في التفسير: (١/ ١٢٨).
(٢) يُنظر: تفسير الطبري: (١/ ١٦٤).
(٣) يُنظر: تفسير الراغب الأصفهاني: (١/ ٥٩).
(٤) التيسير في التفسير: (١/ ١٢٨).

هذا المشكل من مشكل اللفظ، سببه التشابه والتكرار.

ذكر النسفي جوابين لدفع الإشكال سأتناولها بالدراسة:

الجواب الأول: (إيَّا) في أول الكلام كالكاف في آخره، ولو قال: نعبدك ونستعينك، احتيج إلى تكرار الكاف، فكذلك (إيَّا).

أنَّ كل واحد من الفعلين (نعبد-نستعين) يطلب مفعولا على حدته، ولو أخَّر المكنيان موضعهما بعد الفعل لقيل: (نعبدك ونستعينك)، فلما كان كلٌّ واحد من الفعلين يقع على (الكاف) في تأخرها وقع على ﴿إِيَّاكَ﴾في تقدمه، فالكاف في الفعلين مكررة، و(إيَّا) في أول الكلام هي كالكاف في آخره. **ذكر هذا الجواب**: بيان الحق(١)، والواحدي(٢).

وهو كذلك الأفصح لغةً، كما ذكر **الطبري**، فقال: "﴿إِيَّاكَ﴾هي كناية اسم المخاطب التي كانت تكون كافًا وحدها متصلة بالفعل إذا كانت بعد الفعل، ثم كان حظها أن تعاد مع كل فعل اتصلت به، فيقال: اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك، وكان ذلك أفصح في كلام العرب من أن يقال: اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد، إذا قدمت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولة بـ ((إيا))، كان الأفصح إعادتها مع كل فعل، كما كان الفصيح من الكلام إعادتها مع كل فعل، إذا كانت بعد

(١) يُنظر: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن: الغزنوي: (١/ ٩). **بيان الحق:** هو محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي، يلقب ببيان الحق: كان عالماً بارعًا مفسرًا لغويًا فقيهاً متفننًا فصيحًا. له تصانيف ادَّعى فيها الاعجاز منها: «خلق الانسان»، «وايجاز البيان في معاني القرآن» وغير ذلك. توفي في: (٥٥٠) هـ. يُنظر: معجم الأدباء: ياقوت الحموي: (٦/ ٢٦٨٦)، معجم المؤلفين: كحالة: (١٢/ ١٥٧).

(٢) يُنظر: التفسير البسيط: (١/ ٥١٦، ٥١٧).

الفعل متصلة به، وإن كان ترْكُ إعادتها جائزاً "(١).

الجواب الثاني: لأن تكراره تحقيق لكل واحدٍ منهما مفردًا؛ أي: نعبدك لا غير، ونستعين بك لا غير.

وقريب منه قال **بيان الحق**: فالتكرار ليكون كلٌّ من العبادة والاستعانة سيقتا في جملتين، وفي التكرار تحقيق لكل واحدة منهما مفردة، أي: نعبدك لا غير، ونستعين بك لا غير، ولأنه تعليم أن يجدد لكل دعوة عزيمة وتوجهًا، ولا نجمعهما في ربقة، ولا نعرضهما في صفقة، بخلاف لو كان ((إياك نعبد ونستعين))(٢). **ذكر هذا الجواب:** أبو حيان(٣).

وهو حقٌّ؛ لأنَّ الفعلان متغايران، فاحتاج كل واحد منهما إلى تنصيص وتوكيد واهتمام، وكل واحد منهما يحتاج إلى إخلاص ونية، فأكد هذا المعنى بهذه الطريقة. فالتكرار فيه دلالة اخلاص واختصاصٍ وتأكيد، وهو نظير قوله تعالى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣،٣٤]، ولم يقل: كي نسبحك ونذكرك كثيرًا. وهذا المعنى ذكره **ابن القيم** بقوله: "وفي إعادة ﴿إِيَّاكَ﴾مرة أخرى دلالة على تعلق هذه الأمور بكل واحد من الفعلين، ففي إعادة الضمير من قوة الاقتضاء ما ليس في حذفه، فإذا قلت لمِلِكٍ مثلاً: إيَّاك أحب، وإيَّاك أخاف، كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته، والاهتمام بذكره، ما ليس في قولك: إيَّاك أحب وأخاف"(٤). فيستفاد

(١) يُنظر: تفسير الطبري: (١/ ١٦٤،١/ ١٦٥).
(٢) يُنظر: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن: (١/ ٩).
(٣) يُنظر: البحر المحيط في التفسير: (١/ ٤٤).
(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: (١/ ٩٩).

منه الاهتمام والحصر وهو ما ذكره الثعلبي(١).

أورد المفسرون أجوبة أخرى في توجيه الآية:

الجواب الثالث: هو رأي للزركشي بأنَّ السؤال عن علة التكرار في هذه الآية غير مُتَّجه؛ لأنّه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل، أما إذا وافق الأصل فلا؛ لأن هنا عاملين متغايرين كلٌّ منهما يقتضي معمولاً، فإذا ذكَرَ معمولَ كل واحد منهما بعده فقد جاء الكلام على الأصل، والحذف خلاف الأصل، فلا وجه للسؤال عن الأصل، ولا حاجة إلى تكلف الجواب عنه، ويقاس على الآية نظائرها(٢).

وهذا في معنى ما تقدم في الجواب الأول بأنَّ كل واحد من الفعلين (نعبد- نستعين) يطلب مفعولا على حدته، وأنه الأفصح كما ذكر الطبري؛ فلا حاجة للسؤال عن الأصل، ويتوجه السؤال فيما لو خالف هذا الأصل.

الجواب الرابع: لو قال: ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ ونَسْتَعِينُ)) لكان يصح أن يعتقد أن الاستعانة بغيره، وكان إعادته أبلغ. ذكره: الراغب(٣).

فجعل الضمير خاصاً بالعبادة، مما يحتمل أن يكون إخبارًا بطلب المعونة من غير أن يعين ممن يطلب؛ لعدم وجود المفعول المخصص الذي يقع عليه فعل الاستعانة. وهذا المعنى أشار إليه **ابن القيم** بقوله: "في ضمير ﴿إِيَّاكَ﴾من الإشارة

---

(١) يُنظر: تفسير الثعلبي: (١/ ١١٨). أحمد بن محمد بن إبراهيم الثّعلبيّ، أبو إسحاق المفسّر الخراسانيّ. له كتاب التفسير المشهور بأيدي الناس، وكتاب العرائس. ومات سنة: (٤٢٧هـ). يُنظر: الدر الثمين في أسماء المصنفين: الساعي: (ص: ٢٨٩)، وفيات الأعيان: ابن خلكان: (١/ ٧٩).

(٢) يُنظر: البرهان في علوم القرآن: (٣/ ١١).

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني: (١/ ٥٩).

إلى نفس الذات والحقيقة ما ليس في الضمير المتصل، ففي: إياك قصدت وأحببت من الدلالة على معنى حقيقتك وذاتك قصدي، ما ليس في قولك: قصدتك وأحببتك، وإياك أعني فيه معنى: نفسك وذاتك وحقيقتك أعني"(١).

الخلاصة:

بعد النظر في توجيه المشكل في الآية، وهو علة تكرير ﴿إِيَّاكَ﴾في الآية، ولو اكتفى بالأولى لصح، يتبين أن الإشكال زائلٌ بما ذكره النسفي والمفسرون في جميع الأجوبة، ولا تعارض بين الأقوال.

ومن الحِكَم التي تُلتمس من هذا التكرار أنَّ المقام مقام، مناجاة للربِّ-تبارك وتعالى-فكأنه بإعادة الضمير ﴿إِيَّاكَ﴾، يتلذذ في دعائه ومناجاته وطلبه، كقول الداعي: (اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد)(٢). فالتكرار لزيادة لذة الخطاب والحضور. و**كذلك** من الحكم: ولو قلنا ((إياك نعبد ونستعين)) بضمير واحد قد يُفهم عدم صحة التقرب إلى الله إلا بالعبادتين جميعها، وهو غير صحيح، وإنما هو سبحانه يُعبد استقلالاً، ويُستعانُ به كذلك على وجه الاستقلال، ويعبد بالجمع بينها وهذا حصل بتكرار الضمير. والله تعالى أعلم.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: (١/ ٩٩).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن النبي ﷺ إنما أوتر هذه الليلة التي بات ابن عباس-رضي الله عنهما-فيها عنده بعد طلوع الفجر الذي يكون بعد طلوعه ليل لا نهار، لا بعد طلوع الفجر الثاني الذي يكون بعد طلوعه نهار، مع الدليل على أن النبي ﷺ لم يركع ركعتي الفجر عند فراغه من الوتر، بل أمسك بعد فراغه من الوتر حتى أضاء الفجر الثاني الذي يكون بعد إضاءة نهار ولا ليل، حديث (١١٠٠). قال الألباني: إسناده صحيح. يُنظر: صحيح ابن خزيمة: الأعظمي: (٢/ ١٥٥).

المسألة الرابعة

المشكل في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [سورة البقرة:٣-٤].

نص الإشكال:

أورد النسفي على هذه الآية إشكالاً فقال: "فإن قالوا: لماذا كرر ذكر الإيمان في هذه الآية بعد ما ذكره في الآية الأولى، والقرآن على الإيجاز؟"(١).

تحرير محل الإشكال:

في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ﴾في الآية الثانية أليسوا هم المذكورون أولاً في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، أم غيرهم، فإذا كانوا هم فلمَ عطف بتكرير الاسم الموصول في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾، وذكر: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ مع أنه داخلٌ في جملة الغيب المذكور في الآية قبله، وعادة القرآن الإيجاز، بوضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها وافية بالغرض والمقصود.

أورد هذا الإشكال: الزمخشري(٢).

جواب الإشكال:

ذكر النسفي لدفع الإشكال ثلاثة أجوبة، فقال: **الأول:** التكرير للتأكيد والتقرير متعارف عند العرب، قال قائلهم: كم نعمة كانت لكم كم وكم، وفي القرآن: ﴿وَيۡلٞ

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٢٥٥).

(٢) يُنظر: تفسير الزمخشري: (١/ ٤١).

يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾، في سورة المرسلات مرات، وفي سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾مرات، والقرآن نزل بلغة العرب. **الثاني:** أن الثاني ردٌّ لقول أهل الكتاب؛ فكانت إعادة جددت إفادة. **الثالث:** أن هذا غير الأول؛ فإن الأوَّل إيمانٌ بالغيب وهو القيامة وما فيها، وهذا إيمانٌ بالقرآن وسائر الكتب، ولئن حمل الغيب المذكور في الآية الأولى على القرآن، فهذا على الإيمان بالوحي الذي لا يتلى وسائر الكتب، فلم يكن تكرارًا(١).

الدراسة:

هذا المشكل من مشكل اللفظ والمعنى، سببه: التكرار.

بالنظر إلى الآيتين واختلاف المفسرين في أعيان القوم الذين أنزل الله جل ثناؤه هاتين الآيتين فيهم، وفي نعتهم وصفتهم التي وصفهم بها، من إيمانهم بالغيب، وسائر المعاني التي حوتها الآيتان، قال الطبري: **الأول:** الأولى في مؤمنو العرب خاصة، والثانية في مؤمنو أهل الكتاب، واستدلوا على صحة قولهم بقوله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾، قالوا: فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله ﷻعلى محمد ﷺ تدين بتصديقه والإقرار به، وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرها، فهما صنفان متغايران. **الثاني:** نزلت هذه الآيات الأربع في مؤمني أهل الكتاب؛ لإيمانهم بالقرآن عند إخبار الله ﷻ إياهم فيه عن الغيوب التي كانوا يخفونها بينهم ويسرونها، فعلموا عند إظهار الله ﷻ نبيه ﷺ أنه من عند الله، فآمنوا بالنبي ﷺ وصدقوا بالقرآن وما فيه من الإخبار عن الغيوب التي لا علم لهم بها، لما استقر عندهم من الإخبار فيه عما كانوا يكتمونه من ضمائرهم-أن جميع ذلك من عند الله. **الثالث:** أنَّ الآيات الأربع أنزلت على محمد ﷺ بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك

(١) يُنظر: التيسير في التفسير: (١/ ٢٥٥).

صفتهم من العرب والعجم، وأهل الكتابين وسواهم، والمؤمن بما أنزل الله على محمد ﷺ، وما أنزل من قبله، هو المؤمن بالغيب(١).

وهذه الأقوال الثلاثة مؤثرة في أجوبة دفع المشكل عن الآية الكريمة.

وسأتناول أجوبة النسفي الثلاثة في دفع هذا الإشكال بالدراسة:

الجواب الأول: أنَّ التكرير للتأكيد والتقرير متعارف عند العرب، كما كُرّرت آيات كثيرة في القرآن، كما في سورتي المرسلات والرحمان، والقرآن نزل بلغة العرب.

وهو قولٌ وجيه؛ فإنَّ التكرار الوارد في القرآن ليس من التكرار المذموم الذي لا قيمة له. فمن أغراضه تأكيد وتقرير المعنى في النفس.

قال **ابن قتيبة**(٢): "إنَّ من مذاهب العرب التكرار؛ إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار؛ إرادة التخفيف والإيجاز"(٣).

وذكر **السيوطي** أنَّ التكرار من محاسن الفصاحة، وهو أبلغ من التأكيد

وهذا على القول بأنَّ الآيات الأربع في مؤمني أهل الكتاب خاصة، أو القول بأنَّ الآيات الأربع أنزلت بوصف جميع المؤمنين الذين تلك صفتهم من العرب والعجم، وأهل الكتابين وسواهم، فالمؤمنين في الآيتين قسمٌ واحد، وهو كل مؤمن،

---

(١) يُنظر: تفسير الطبري: (١/ ٢٣٧- ٢٣٩)، الهداية الى بلوغ النهاية: (١/ ١٣٤)، تفسير الماوردي: (١/ ٧٠)، تفسير ابن عطية: (١/ ٨٦)، تفسير ابن كثير: (١/ ١٧٠).

(٢) **ابن قتيبة**: أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، النحوي اللغوي صاحب كتاب (أدب الكاتب). سكن بغداد. كان فاضلًا ثقةً، وأصح الأقوال في وفته إنها في ٢٧٦ه. يُنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: (٣/ ٤٢،٤٣)، تاريخ بغداد: البغدادي: (١١/ ٤١١).

(٣) التفسير البسيط: (٢٤/ ٣٩٤).

وإنما تعدد ما يؤمنون به. فالعطف فيهما عطف الصفات لا عطف الموصوفين.

والقول بأنها عامة في جميع المؤمنين هو قول مجاهد، حيث يقول: "أربع آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين"(١)، ورجَّح هذا القول الواحدي(٢)، واختاره ابن كثير ورجَّحه بقوله: هذه الآيات الأربع عامة في كل مؤمن اتصف بها، من عربي وعجمي وكتابي، من إنسي وجني، وليس تصحُّ واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى، بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معها، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بذلك، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء:١٣٦]. ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة:٢٨٥].

الكتاب خصوصية، كان لهم على ذلك الأجر مرتين، وقد يكون إيمان كثير من العرب أتم وأكمل وأعم وأشمل من إيمان من دخل منهم في الإسلام، فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحيثية، فغيرهم يحصل له من التصديق ما ينيف ثوابه على الأجرين اللذين حصلا لهم(٣).

(١) تفسير مجاهد: (ص: ١٩٥)، وأخرج نحوه ابن جرير: (١/ ٢٤٦).
(٢) يُنظر: التفسير الوسيط للواحدي: (١/ ٨٢).
(٣) يُنظر: تفسير ابن كثير: (١/ ١٧١).

فعلى هذا القول، وأنهم صنف واحد فإعراب ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ الثانية خفض على العطف، ويصح أن يكون رفعاً على الاستئناف، أي: وهم الذين(١).

الجواب الثاني: أن الثاني رد لقول أهل الكتاب، فكانت إعادة جددت إفادة.

هذا على قول من قال بأنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب، وأنهم معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب، داخلون معهم في جملة المتقين، دخول خاص تحت عام.

ذكر نحو هذا الجواب: الواحدي(٢)، والسمعاني(٣)، والراغب(٤)، والبغوي(٥)،والزمخشري(٦)، والبيضاوي(٧)، والنسفي(٨)، والألوسي(٩).

ويُبنى هذا القول على قول ابن عباسﷺ، وابن مسعودﷺ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، قال: (هؤلاء

---

(١) يُنظر: تفسير ابن عطية: (١/ ٨٦).
(٢) يُنظر: الوجيز للواحدي: (ص: ٩١).
(٣) يُنظر: تفسير السمعاني: (١/ ٤٤).
(٤) يُنظر: تفسير الراغب الأصفهاني: (١/ ٨٥).
(٥) يُنظر: تفسير البغوي: (١/ ٦٣).
(٦) تفسير الزمخشري: (١/ ٤١).
(٧) تفسير البيضاوي: (١/ ٣٩).
(٨) تفسير القرطبي (١/ ١٨٠).
(٩) تفسير الألوسي: (١/ ١٢٢). **والألوسي** هو: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد. مجتهدًا. من كتبه: "غرائب الاغتراب". توفي: (١٢٧٠ه). يُنظر: الأعلام للزركلي: (٧/ ١٧٦)، معجم المؤلفين: (١٢/ ١٧٥).

المؤمنون من أهل الكتاب)(١).

قال **الواحدي**: لأنه لم يكن للعرب كتاب كانوا مؤمنين به قبل محمد ﷺ"(٢).

وعلل لذلك **السمعاني** فقال: لأنهم هم الذين آمنوا بالقرآن وسائر الكتب قبله، وقد روى في حديث صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (من آمن بالكتب المتقدمة وآمن بالقرآن يؤتى أجره مرتين)، وعليه دل نص القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤](٣).

فهم على ذلك مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا ذكره **الزمخشري**، وأورد عليه إشكالاً وأجاب عليه فقال: "فإن قلت: قوله بما أنزل إليك إن عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها، فلم يكن ذلك منزلًا وقت إيمانهم، فكيف قيل أنزل بلفظ المضي؟ وإن أريد المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب، قلت: المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبًا، تغليبًا للموجود على ما لم يوجد، كما يغلب المتكلم على المخاطب، والمخاطب على الغائب فيقال: ولأنه إذا كان بعضه نازلاً وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله"(٤).

واختار هذا القول **الطبري** مستندًا إلى أحوال النزول، والسياق واستشهد له(٥).

---

(١) أخرجه ابن جرير: (١/ ٢٥١).

(٢) يُنظر: التفسير الوسيط للواحدي: (١/ ٨٢).

(٣) يُنظر: تفسير السمعاني: (١/ ٤٤).

(٤) تفسير الزمخشري: (١/ ٤١، ٤٢).

(٥) بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ

واستشهاده بذلك؛ لأن الله وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين، فكما أنه صنف الكافرين إلى صنفين: منافق وكافر، فكذلك المؤمنون صنفهم إلى عربي وكتابي.

واستدرك **ابن تيمية** على هذا القول، ووصفه بالغلط؛ لأن مشركي العرب لم يؤمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله، فلم يكونوا مفلحين. وأهل الكتاب إن لم يؤمنوا بالغيب ويقيموا الصلاة ومما رزقناهم ينفقون لم يكونوا مفلحين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [سورة البقرة:٥]. فدل على أنهم صنف واحد(١).

ولم يرَ **ابن عطية**-فيما يبدو-تعارضًا بين هذه الأقوال. قال بعدما ذكر اختلافهم: "فمن جعل الآيتين في صنف واحد فإعراب و﴿وَٱلَّذِينَ﴾ خفض على العطف، ويصح أن يكون رفعاً على الاستئناف، «أي وهم الذين». ومن جعل الآيتين في صنفين، فإعراب ﴿وَٱلَّذِينَ﴾رفع على الابتداء، وخبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ ويحتمل

﴾[آل عمران:١٩٩]، وبقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤﴾ [القصص: ٥٢-٥٤] . وثبت في الصحيحين، من حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسىﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه، ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها) يُنظر: تفسير الطبري: (١/ ٢٤٦، ٢٤٧).

(١) يُنظر: مجموع الفتاوى: (٢٧/ ٢٧٥).

أن يكون عطفًا"(١).

الجواب الثالث: أن هذا غير الأول؛ فإن الأول إيمان بالغيب وهو القيامة وما فيها، وهذا إيمان بالقرآن وسائر الكتب، ولئن حمل الغيب المذكور في الآية الأولى على القرآن، فهذا على الإيمان بالوحي الذي لا يتلى وسائر الكتب، فلم يكن تكرارًا.

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا القول، وكيف يُحمل الإيمان بالغيب على القيامة وأهوالها فقط أو القرآن فقط؛ فإن الغيب إن أُطلق فالمراد منه: "كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله ﷻ بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك"(٢). فلا معنى لحصره في نوع دون آخر لتخريج قول رآه المفسر، فهو تخصيص بلا دليل.

وكذلك ما ذكره **الألوسي** هو تخصيصٌ لا دليل، حيث يرى أنَّ التغاير باعتبار أن الإيمان الأول بالعقل وهذا بالنقل، أو بأن ذاك بالغيب وهذا بما عرفوه كما يعرفون أبناءهم(٣).

ولا يصحُّ تخصيص لا دليلَ عليه. ذكر هذا التقرير العلاّمة **الشنقيطي**، حيث قال: "وقد تقرر في الأصول أنه لا يمكن تخصيص العام إلا بدليل يجب الرجوع إليه، سواء كان من المخصصات المتصلة، أو المنفصلة"(٤). فعليه هذا القول ضعيفٌ ومردود.

أورد المفسرون أجوبة أخرى في توجيه الآية:

الجواب عن الرابع: أن قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾يتناول الإيمان بالغائبات على

(١) تفسير ابن عطية: (١/ ٨٦).
(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: (ص: ٦٩).
(٣) يُنظر: تفسير الألوسي: (١/ ١٢٢).
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٣٠٨)

الإجمال، ثم بعد ذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾يتناول الإيمان ببعض الغائبات فكان هذا من باب عطف التفصيل على الجملة، وهو جائز كما في قوله: ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [سورة البقرة:٩٨]. ذكره الرازي(١).

وعطف التفصيل لبيان أهميته، وتأكيده، ولفت العناية له، وجائز أن يكون كذلك؛ لوجود الدليل على ذلك فإنه "يقال: لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾: قالت اليهود والنصارى: نحن آمنا بالغيب. فلمَّا قال: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: قالوا: نحن نقيم الصلاة فلما قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾: قالوا: نحن ننفق ونتصدق، فلما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾نفروا من ذلك"(٢).

ذكر **الألوسي** من بعده بأنَّ التغاير بالعموم والخصوص، مثل قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدْر: ٤]، والتخصيص هنا بعد التعميم؛ للإشارة إلى الأفضلية من حيثية أنهم يعطون أجرهم مرتين، وقد يوجد في المفضول ما ليس في الفاضل؛ وهذا لترغيب أهل الكتاب في الدخول في الإسلام(٣).

الخلاصة:

بعد النظر في جواب الإشكال الذي أورده النسفي في سبب تكرار ذكر ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) يُنظر: تفسير الرازي: (٢/ ٢٧٤).
(٢) يُنظر: تفسير السمرقندي: (١/ ٢٣)، تفسير القرطبي: (١/ ١٨٠).
(٣) يُنظر: تفسير الألوسي: (١/ ١٢٢).

يُؤْمِنُونَ﴾في هذه الآية بعد ما ذكره في الآية الأولى، وعادة القرآن على الإيجاز، يُعلمُ أنَّ الإشكال مندفعٌ بما ذكره النسفي والمفسرون من الأجوبة: الأول، والثاني، وهي متساوية في القوة، والقائل بها جلة من المفسرين، وتستند لأدلة صحيحة، ثم الجواب الرابع، أما الجواب الثالث فقد بيَّنتُ ضعفه.

والله أعلم.

المسألة: الخامسة

المشكل في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [سورة البقرة:٧].

نص الإشكال:

أورد النسفي في الآية إشكالين فقال في **الأول**: ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾على الوحدان دون الجمع"(١). وقال في **الثاني**: "فإن قالوا: لم جمع الأبصار والواحد: بصر، وهو مصدر كالسمع"(٢).

تحرير محل الإشكال:

لما ذكر الله الختم على القلوب ذكر جماعة القلوب فقال: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، ثم قال: ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ذكر السمع بلفظ الوحدان، ولم يجمعه بقوله: أسماعهم، مع أنه معطوف على الجمع؛ ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾، فما تخريج توحيد السمع، وجمع الأبصار

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٢٩١).
(٢) التيسير في التفسير: (١/ ٢٩٤).

وواحدها بصر وهي مصدر كالسمع؟

أورد هذا الإشكال: النحاس(١)، والسمرقندي(٢)، وأبو حيان(٣)، والقرطبي(٤)، وابن عاشور(٥).

جواب الإشكال:

جواب الإشكال الأول: أجاب النسفي بأربعة أجوبة فقال: "قولُه: ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾على الوحدان دون الجمع لوجوهٍ: **أحدها:** أنه في الأصل مصدرٌ، والمصدر يَصلُح للواحد والاثنين والجمع، يقال: هو يَضرب ضربًا، وهما يضربان ضربًا، وهم يضربون ضربًا، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ [سورة الطارق:١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤﴾ [سورة الفرقان:١٤]. وقال تعالى خبرًا عن إبراهيم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾ [الحِجر: ٦٨]: فوحَّد الضيف؛ لأنه في الأصل مصدرٌ. **الثاني:** أن فيه إضمارًا، ومعناه: وعلى مواضعِ سمعِهم-أي: سماعِهم-وهي الآذان، كما في قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]: أي: أهلَها، وثبت هذا الإضمارُ دلالةَ أنَّ السمع فعلٌ، ولا يُختم على الفعل وإنما يُختم على محلِّه. **والثالث:** أنه أراد سمعَ كلِّ واحد منهم،

(١) يُنظر: إعراب القرآن للنحاس: (١/ ٢٨).
(٢) يُنظر: تفسير السمرقندي: (١/ ٢٥).
(٣) يُنظر: البحر المحيط في التفسير: (١/ ٧٦).
(٤) يُنظر: تفسير القرطبي: (١/ ١٩٠).
(٥) يُنظر: التحرير والتنوير: (١/ ٢٥٥).

وهذا كما يقال: ائتني برأسِ كبشين، وقال الشاعر:

كُلوا في نصفِ بطنِكم تعيشوا فإنَّ زمانَكم زَمَنٌ خَمِيصُ

والرابع: قولُ سيبويه: إنه توسَّط بين جمعينِ، فدلَّ على الجمع وإنْ وحِّد؛ كما في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، دل على الأنوار ذكرُ الظلمات، وقال الرَّاعي:

بها جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عظامُها فبِيضٌ وأمَّا جلدُها فصَلِيبُ" (١).

جواب الإشكال الثاني: أجاب النسفي بجواب واحد فقال: "لأنه اسم للعين أيضًا، فكان اسماً لا مصدرًا، فجمع لذلك"(٢).

الدراسة:

هذا الإشكال نوعه إشكالٌ لفظيٌّ، ومنشؤه توهم مخالفة اللغة العربية.

أورد النسفي أجوبة لدفع الإشكال، سأتناولها بالدراسة:

الجواب الأول: أنه في الأصل مصدرٌ، والمصدر يَصلُح للواحد والاثنين والجمع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ [سورة الطارق:١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ١٤﴾ [سورة الفرقان:١٤]، وقال تعالى خبرًا عن إبراهيم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾ [الحِجر: ٦٨]: فوحَّد الضيف؛ لأنه في الأصل مصدرٌ.

مما تقرر لغة أنَّ المصادر لا تُثنى ولا تُجمع ولا تُؤنث، فلذلك تلزم طريقة واحدة؛ لأنها تدل بلفظها على القليل والكثير، كأسماء الأجناس: كالماء والزيت والعسل، وما أشبهها من أسماء الأجناس؛ لأن كل لفظ من ذلك يقع على الجنس

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٢٩١، ٢٩٢).

(٢) التيسير في التفسير: (١/ ٢٩٤).

بأسره قليله وكثيره، فاستغني عن تثنيتها وجمعها(١).

وعلى القاعدة اللغوية توحيد السمع؛ لأنه مصدر سمع سمعًا وسماعًا، ولا يجمع؛ لأنه أريد منه المصدر الدال على الجنس.

وقاعدة أنَّ المصادر لا تُثنى ولا تجمع مالم تختلف أنواعها، فإن اختلفت جاز تثنيتها وجمعها، كقولك: شربت ماءين، تريد: ماءً حلوًا وماءً ملحاً، واشتريت زيتين، تريد جيدًا ورديئًا، وكذلك المصدر، نحو قولك: ضربت زيدا ضربين، أي نوعين من الضرب شديدًا وهينًا. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠]، أردا ظنونا مختلفة. وقد ثنوا الخصم أيضًا وجمعوه، فقالوا: خصمان وخصوم، فعلوا ذلك لأنه قد كثر استعماله في الوصف، حتى زال عن شبه المصدر، ودخل في باب الأسماء والصفات، كذلك نظائره في المصادر التي وصف بها. قال ذو الرمة:

أبرَّ على الخصـــومِ فليسَ خصـــمٌ ولا خصـــــمانِ يـغـلـبـهُ جـدالًا

فوحد وثنى وجمع في بيت واحد(٢). وعليه جاء لفظ القلوب والأبصار؛ فإن القلوب متعددة والأبصار جمع بصر الذي هو اسم لا مصدر؛ لذلك جاز جمعها.

ذكر نحو هذا الجواب- بأنَّ السمع مصدرٌ، والمصدر يَصلُح للواحد والاثنين

(١) يُنظر: علل النحو: ابن الوراق: (ص: ٤٦٤)، إسفار الفصيح: أبو سهل الهروي: (١/ ٢٠٨) (١/ ٥٥٩)، البديع في علم العربية: ابن الأثير: (مقدمة/ ٨٩)، شرح المفصل: لابن يعيش: (١/ ٢٣٦).

(٢) إسفار الفصيح: (١/ ٥٥٩، ٥٦٠).

والجمع-: السمرقندي(١)، والرازي(٢)، والزمخشري(٣)، والواحدي(٤)، والسمين الحلبي(٥)، والنسفي(٦)، والشوكاني(٧)، وابن عاشور(٨).

الجواب الثاني: أن فيه إضمارًا، وهو على حذف مضاف تقديره: وعلى حواس سمعهم، أو وعلى مواضعِ سمعِهم-أي: سماعِهم-وهي الآذان كمواضعه، فحذفت المواضع، ودلَّ السمع عليها، فالمضاف قد يقوم مقام المضاف إليه، مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]: أي: أهلَها، ونقول اجتمعت المدينة يعني أهلها. ودليله السمع لا يختم وإنما يختم موضع السمع.

ذكر نحو هذا الجواب: السمرقندي(٩)، والسمعاني(١٠)، والزمخشري(١١)،

(١) يُنظر: تفسير السمرقندي: (١/ ٢٥).
(٢)يُنظر: تفسير الرازي: (٢/ ٢٩٥).
(٣) يُنظر: تفسير الزمخشري: (١/ ٥٣).
(٤) يُنظر: التفسير الوسيط للواحدي: (١/ ٨٥).
(٥) يُنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (١/ ١١٤).
(٦) يُنظر: تفسير النسفي: (١/ ٤٥، ٤٦).
(٧) يُنظر: فتح القدير: (١/ ٤٧).
(٨) يُنظر: التحرير والتنوير: (١/ ٢٥٥).
(٩) يُنظر: السمرقندي: (١/ ٢٥).
(١٠) يُنظر: تفسير السمعاني (١/ ٤٧).
(١١) يُنظر: تفسير الزمخشري: (١/ ٥٢، ٥٣).

والسمين الحلبي(١)، والنسفي(٢).

وهذا التقدير لا نحتاج إليه في الآية؛ لأنَّ إضافة السمع إلى ضمير الجمع تغني عن الجمع عند أمن اللبس.

ومما تقرر في القواعد: إذا دار الكلام بين التقدير وعدمه فعدم التقدير أولى؛ لأن الاضمار والحذف والتقدير خلاف الأصل ، فيجب التقليل من مخالفة الأصل مهما أمكن، والعرب لا تحذف من الكلام شيئًا إلا وتركت عليه دليلًا(٣).

ولا يوجد في الكلام المذكور دليلاً على هذا المحذوف الذي قدروه.

الجواب الثالث: أنه أراد سمعَ كلِّ واحد منهم؛ وهذا لتنوّع المدركات والمرئيات؛ لأن لكل واحد منهم سمعًا واحدًا، كما يقال: ائتني برأسِ كبشين، يعني رأس كل واحدٍ منهما، كما وحَّد البطن في قوله: «كلوا في بعض بطنكم تعيشوا»(٤). يفعلون ذلك إذا أمنوا اللبس، فإذا لم يؤمن كقولك: فرشهم وثوبهم وأنت تريد الجمع

(١) يُنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (١/ ١١٤).

(٢) يُنظر: تفسير النسفي: (١/ ٤٥، ٤٦).

(٣) يُنظر: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية: (٧٣/٢).

(٤) والأبيات: كُلُوا في بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا ... فإنَّ زمانكم زَمَنٌ خَمِيصُ
من شواهد سيبويه: (١٠٨/١). وضع البطن في موضع البطون. وصف شدة الزمان وكلبه فقال: كلوا في بعض بطونكم ولا تملئوها حتى تعتادوا ذلك وتعفوا عن كثرة الأكل وتقنعوا باليسير فإن الزمان ذو مخمصة وجدب والخميص: الجائع. الصفة للزمن، والمعنى لأهله. وتعفوا مجزوم بجواب الأمر. والبيت من الأبيات الخمسين التي لا يعرف قائلها. هامش: الأصول في النحو: ابن السراج: (١/ ٣١٤).

رفضوه. **ذكر هذا الجواب**: الثعلبي(١)، والرازي(٢).

والاضافة الى الجماعة تغنى عن الجماعة، وفي التوحيد أمن من اللبس كما في قوله: "بعض بطنكم" أى بطونكم إذا لبطن لا يُشْتَرَك فيه فلا لبسَ في الافراد حينئذٍ.

أورد المفسرون أجوبة أخرى في توجيه الآية:

الجواب الرابع: قد تكون في إفراد السمع لطيفة روعيت من جملة بلاغة القرآن هي أن القلوب كانت متفاوتة واشتغالها بالتفكر في أمر الإيمان والدين مختلف، وكانت الأبصار أيضًا متفاوتة التعلق بالمرئيات التي فيها دلائل الوحدانية في الآفاق، وفي الأنفس، فلكلِّ بصرٍ حظه من الالتفات إلى الآيات المعجزات والعبر والمواعظ، فلمَّا اختلفت أنواع ما تتعلقان به جُمعت. وأما الأسماع فإنَّها تتعلق بسماع ما يلقى إليها من القرآن، فالجماعات إذا سمعوا القرآن سمعوه سماعًا متساويًا، وإنما يتفاوتون في تدبره، والتدبر من عمل العقول، فلما اتحد تعلقها بالمسموعات جعلت سمعًا واحدًا، ذكر هذا المعنى ابن عاشور(٣).

وقريبٌ منه يقول **الزركشي**: فمتعلق السمع الأصوات وهي حقيقة واحدة، ومتعلق البصر الألوان والأكوان وهي حقائق مختلفة؛ فأشار في كل منهما إلى متعلقه(٤).

وهذا التوجيه متعلق بالمعنى، فمدركات السمع شيء واحد، فإن تعددت الأصوات وتنوعت أو تزاحمت، فالسمع لا يقبل منها إلا صوتاً واحداً؛ فوحّد من هذا الباب. أما البصر فمدركاته متنوعة، ساكن ومتحرك، وجميع الألوان والأشكال والهيئات وغيرها؛ فجمع من هذا الباب.

---

(١) يُنظر: تفسير الثعلبي: (١/ ١٥١).

(٢) يُنظر: تفسير الرازي: (٢/ ٢٩٥).

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير: (١/ ٢٥٦).

(٤) يُنظر: البرهان في علوم القرآن: (٤/ ١٩).

الجواب الخامس: إنه توسَّط بين جمعينِ، فدلَّ على الجمع وإنْ وحِّد؛ كما في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، دل على الأنوار ذكرُ الظلمات، ومثله قوله: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: ٤٨] فعُلم أنه لما أضاف السمع إلى الجماعة دلَّ على أنه يراد به أسماع الجماعة، ذكره سيبويه ونقله عنه الواحدي(١)، والقرطبي(٢).

الجواب السادس: إن الإضافة إلى الجماعة تغني عن لفظ الجماعة، فقد أضاف السمع إلى الجماعة، والشيء إذا أضيف إلى الجماعة مرة يذكر بلفظ الجماعة، ومرة يذكر بلفظ الوحدان، فلو ذكر القلوب والأبصار بلفظ الوحدان لكان سديدًا في اللغة، فذكر البعض بلفظ الوحدان، والبعض بلفظ الجماعة، وهذه علامة الفصاحة، لأن كتاب الله تعالى أفصح الكلام(٣).

الجواب السابع: ورد في قراءة شاذة: وعلى أسماعهم. فطابق في الجمع بين القلوب والأسماع والأبصار. ذكره الزمخشري(٤)، وأبو حيَّان(٥).

---

(١) يُنظر: التفسير الوسيط: (١/ ٨٥).
(٢) يُنظر: تفسير القرطبي: (١/ ١٩٠).
(٣) يُنظر: تفسير السمرقندي: (١/ ٢٥).
(٤) يُنظر: تفسير الزمخشري: (١/ ٥٣).
(٥) يُنظر: البحر المحيط في التفسير: (١/ ٨١).

وهذه القراءة هي قراءة شاذة(١). وقد أجمعوا على أن الشاذ ليس بقرآن(٢) قال النووي: مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله ﷺ؛ لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع، وإذا لم يثبت قرآناً لا يثبت خبرًا(٣).

فلا يجوز اعتقاد قرآنيته، ولا تصح الصلاة به، والتعبد بتلاوته، إلا أنَّه يجوز تعلُّمها وتعليمها وتدوينها، وبيان وجهها من جهة اللغة والإعراب(٤).

فالاحتاج بها قائمٌ في علوم العربية، كما هو في هذا المثال، ويؤيده ما ذكره السيوطي حيث يقول: "فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترًا، أم آحادًا، أم شاذاً"(٥). فيجوز الاستشهاد بالقراءة الشاذة في قضايا النحو واللغة، لا سيما وأنها تسير في رحاب القواعد التي

(١) القراءة الشاذة اصطلاحاً: هي ما اختل فيها ركن من أركان القراءة الثلاثة: التواتر، وموافقة الرسـم العثماني، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية. يُنظر: مقدمات في علم القراءات: (ص: ٧٢).

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء: (١/ ١٧).

(٣) يُنظر: شرح النووي على مسلم: (٥/ ١٣١).

(٤) يُنظر: القراءات روايتا ورش وحفص دراسـة تحليلية مقارنة: (ص: ٦٧)، مقدمات في علم القراءات: (ص: ٧٢)

(٥) نقله عن السيوطي صاحب غيث النفع في القراءات السبع: (ص: ١٠٥).

وضعها النحويون، ولم تُخالف قياسًا، وتأييدها ما ذُكر في الجواب السابع من قول سيبويه: إنه توسَّط بين جمعينِ، فدلَّ على الجمع وإنْ وحِّد.

الخلاصة:

بعد النظر في جواب الإشكال الذي أورده النسفي في عدم جمع الأسماع كالقلوب والأبصار، يُعلمُ أنَّ الإشكال مندفعٌ بما ذكره النسفي والمفسرون في جميع الأجوبة، وهي من اختلاف التنوع، وأسبابها لغوية ليس لها أثرٌ كبير في المعنى، ولها نظائر في القرآن. ما عدا الجواب الثاني؛ يعترضه مسألة الاضمار كما بيَّنت.

والله أعلم.

المسألة السادسة

المشكل في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة البقرة:١٠].

نص الإشكال:

أورد النسفي في الآية عند قوله ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾إشكالاً فقال: "ثم هذه الصيغة للتحقيق عند بعضهم، وللدعاء عند آخرين فإن قالوا: الدعاء للعاجز عرفاً، فما معنى هذا الدعاء من الله تعالى؟"(١).

تحرير محل الإشكال

من المعلوم بأنَّ الدعاء هو توجه الضعيف العاجز لطلب واستمداد العناية والمعونة من القوي القادر. وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة؛ فالدعاء على هذا متوجهٌ من الأدنى الى الأعلى، وهو مظنَّة ضعف الداعي وحاجته وعجزه، وذلك محال على لله تعالى؛ فما وجه حمله على الدعاء من الله تعالى على هذا المعنى في قوله: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾؟

أورد هذا الإشكال: السمرقندي(٢)، وإسماعيل حقي(٣).

---

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٣١٠).

(٢) يُنظر: تفسير السمرقندي: (١/ ٢٧).

(٣) يُنظر: روح البيان: حقي: (١/ ٥٥، ٥٦). **وإسْمَاعيل حَقِّي**: هوإسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي. متصوف مفسر. تركي مستعرب. ولد في آيدوس، له كتب عربية وتركية. منها: (الرسالة الخليلية - ط) تصوف. توفي عام: ١١٢٧ هـ. يُنظر: معجم المؤلفين: (٢/ ٢٦٦)، معجم المفسرين:(١/ ٨٨، ٨٩).

دفع الإشكال:

أجاب النسفي عن الإشكال بجوابٍ واحدٍ فقال: "هذا تعليم من الله تعالى أنه يجوز الدعاء عليهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقوله:﴿وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ﴾ [سورة النساء:١١٧-١١٨]. وقريب منه: ﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾ [سورة الملك:١١]. وقوله:﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾ [سورة المسد:١]"(١).

الدراسة:

هذه الآية من مشكل المعنى، سببه: خفاء المعنى.

اختلف المفسرون في المراد من قوله ﷻ: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾، فقيل: بأنَّه إخبار، وقيل بأنَّه دعاء(٢).فعلى القول بأنَّه للإخبار لا إشكال عليه، أمَّا على القول بأنَّه للدعاء فما وجهه من الرب الغني العظيم.

أورد النسفي جواباً واحدًا لدفع الإشكال، سأتناوله بالدراسة:

الجواب الأول: أنَّه تعليمٌ من الله تعالى أنه يجوز الدعاء عليهم، كما علمنا الدعاء على المنافقين، وعلى أبي لهب، وعلى الشيطان الرجيم، وعلى أصحاب السعير؛ لأنهم شر خلق الله تعالى، لأنه وعدهم يوم القيامة الدرك الأسفل من النار.

---

(١) التيسير في التفسير: (١/ ٣١٠).

(٢) يُنظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: (١/ ١٢١)، تفسير ابن عطية: (١/ ٩٢)، البحر المحيط في التفسير: (١/ ٩٦)، تفسير الثعالبي: (١/ ١٨٨)، فتح القدير للشوكاني: (١/ ٤٩)، تفسير القرطبي: (١/ ١٩٧)، تفسير السمرقندي: (١/ ٢٧)، تفسير الماوردي: (١/ ٧٤).

وممن أورد هذا الجواب: السمرقندي(١)، والرازي(٢)، وأبو حيَّان(٣)، وإسماعيل حقي(٤).

فالنسفي يرى بأنَّ دعاءٌ لا خبرٌ، وهو على وجه الحقيقة، فيكون دعاء بوقوع زيادة المرض، وهو على غرار الأساليب البلاغية كالأمر والنهي، وأنها قد تخرج عن دلالاتها الأصلية بقرائن إلى معانٍ أخرى-وهو أمر معهود في البلاغة-فكانت الصيغة صيغة دعاء عليهم والغرض منها التعليم، واستشهد لذلك بآيات فيها دعاء من الله ﷻ على أعيان أو أوصاف، والغرض منها تعليم العباد الدعاء على هؤلاء.

واستدرك **ابن عاشور** على هذا القول فقال: "وقال بعض المفسرين: هي دعاء عليهم، وهو تفسير غير حسن؛ لأنه خلاف الأصل في العطف بالفاء، ولأن تصدي القرآن لشتمهم بذلك ليس من دأبه، ولأن الدعاء عليهم بالزيادة تنافي ما عهد من الدعاء للضالين بالهداية في نحو: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)"(٥) .

وما ذكره **ابن عاشور** غير وجيه؛ فقوله: (فَزادَهُمُ) يحتمل أن تكون الفاء حرف عطف، وهو ما أشار إليه أبو السعود بقوله: والجملة معطوفة على ما قبلها، والفاء للدلالة على ترتيب مضمونها عليه اتضح به كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب(٦). فهو حينها ارتباط سبب بمسبب. ويحتمل أن تكون الفاء استئنافية وجملة زادهم الله دعائية.

---

(١) يُنظر: تفسير السمرقندي: (١/ ٢٧).
(٢) يُنظر: تفسير الرازي: (١٢/ ٣٩٤).
(٣) يُنظر: البحر المحيط في التفسير: (١/ ٩٦).
(٤) يُنظر: روح البيان: (١/ ٥٥، ٥٦).
(٥) يُنظر: التحرير والتنوير: (١/ ٢٨٢).
(٦) يُنظر: تفسير أبي السعود: (١/ ٤٢).

وكذلك مسألة شتم القرآن لهم، وإظهار مثالبهم، وضعف عقولهم، وخستهم، وجبنهم، ولعنهم وَرَدَ في أكثر من آية، كقوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة التوبة:٦٧]. **وكقوله:** ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا فم﴾ [سورة الأحزاب:٦٠-٦١]. وقال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة المنافقون:٦].

وغيرها من الآيات، ولا تنافي الدعاء عليهم بالزيادة، ما عُهد من الدعاء للضالين بالهداية؛ لأن هؤلاء صنف علم الله أنَّ في قلوبهم وأديانهم، وما هم عليه- في أمر محمد ﷺ، وأمر نبوته وما جاء به- الشك، وأنهم فيه مقيمون؛ فزادهم الله بما أحدث من حدوده وفرائضه-التي لم يكن فرضها قبل الزيادة التي زادها المنافقين- من الشك والحيرة، إذ شكوا وارتابوا في الذي أحدث لهم من ذلك-إلى المرض والشك الذي كان في قلوبهم في السالف من حدوده وفرائضه التي كان فرضها قبل ذلك. كما زاد المؤمنين به إلى إيمانهم الذي كانوا عليه قبل ذلك بالذي أحدث لهم من الفرائض والحدود إذ آمنوا به إلى إيمانهم بالسالف من حدوده وفرائضه – إيماناً وهذا المعنى ذكره الطبري[1] . وهو كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وكقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ

(١) يُنظر: تفسير الطبري: (١/ ٢٨١).

رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥].

وهو ما يراه كذلك **القرطبي**، حيث يقول: "دعاء عليهم، ويكون معنى الكلام زادهم الله شكاً ونفاقاً جزاء على كفرهم، وضعفاً عن الانتصار، وعجزاً عن القدرة، وعلى هذا يكون في الآية دليل على جواز الدعاء على المنافقين والطرد لهم، لأنهم شر خلق الله"(١).

أورد المفسرون أجوبة أخرى في توجيه الآية:

الجواب الثاني: أن يكون الدعاء على وجه المجاز: قال **أبو حيان**: "يحتمل أن يكون مجازًا(٢) فلا تقصد به الإجابة، لكون المدعو به واقعًا، بل المراد به السب واللعن والنقص، كقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠]، وكقوله: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْم لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]، وكقوله: لعن الله إبليس وأخزاه، ومعلوم أن ذلك قد وقع، وأنه قد باء بخزيٍ ولعنٍ لا مزيد عليه"(٣). ومن قبله ذكره الواحدي(٤).

الجواب الثالث: إنَّ الدعاء من الله واجب، وإن كان منَّا رغبة وطلباً. ذكره الراغب(٥). وقريب منه يقول **الثعالبي**: كل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل،

---

(١) تفسير القرطبي: (١/ ١٩٧).

(٢) المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وصغ له علاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. يُنظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل: السَّراج: (ص: ١٧٣).

(٣) البحر المحيط في التفسير: (١/ ٩٦، ٩٧).

(٤) البحر المحيط في التفسير: (١/ ٩٦،٩٧).

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني: (١/ ٩٩).

فإنما هو بمعنى إيجاب الشيء؛ لأن الله تعالى لا يدعو على مخلوقاته، وهي في قبضته، ومن هذا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة: ١](١).

وهذا لأنَّ من باء بدعاء الله عليه أوبق دنياه وآخرته، وأوجب الله عليه بدعائه الهلاك والثبور. نسأل الله السلامة والعافية!

الخلاصة:

بعد النظر في جواب الإشكال الذي أورده النسفي في أنَّ الدعاء للعاجز عرفاً، فما معنى الدعاء من الله تعالى، يُعلمُ أنَّ الإشكال مندفعٌ بما ذكره النسفي والمفسرون في الجواب الأول: بأنه دعاء عليهم؛ ووجهه أنهم شكوا في الله تعالى، فجازاهم الله على كفرهم وشكهم وترددهم بطمس البصائر، وإزاغة القلوب، والطبع والختم والأكنة المانعة من وصول الخير إليها، فجاءت الآية بالدعاء عليهم بزيادة الشك، وترادف الحسرة، وفرط النفاق، ولتعليم الأمة بأنهم قد استحقوا هذا الدعاء، كما قال الأخطل(٢):

يا مرسل الريح جنوباً وصباً إذ غضبت زيدٌ فزدها غضباً(٣)

وكذلك هو مندفعٌ بالجواب الثالث وهو لازمٌ من القول بالجواب الأول؛ فإنمن كان الدعاء عليه من المؤمنين بتعليم الله بزيادة شكِّ المنافقين، وترادف حسراتهم، وفرط نفاقهم، لا شك أنه دعاء محيطٌ به، واجبٌ وقوعه عليه.

وأما الجواب الثاني فقد بينت ما يعترضه؛ فلا يندفع به الإشكال.

---

(١) تفسير الثعالبي: (١/ ١٨٨).

(٢) واسمه مالك بن غياث بن غوث، وقال أبو الفرج الأصبهاني: اسمه غياث ابن غوث بن الصلت. يُنظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري: (٣/ ٧٦).

(٣) يُنظر: التمثيل والمحاضرة: الثعالبي: (ص: ٧١)، السحر الحلال في الحكم والأمثال: الهاشمي: (ص: ٢٠)، نهاية الأرب في فنون الأدب: (٣/ ٧٧).

الخاتمة

وفيما يلي أهم النتائج:

١- أكثر أنواع المشكل في تفسير النسفي هو ما يتعلق بمشكل المعنى.

٢- استشهاد النسفي بصحة الجواب عن الإشكال بسياق الآية، واللغة والقرآن والأثر،

٣- أثبت البحث أن مصطلح المشكل من المصطلحات التي أصابها التطور الدلالي إذ دل اللفظ في الأصل على الإشكال الذي ينتج عن طريق المشابهة ثم تطور معناه ليشمل كل ما غمض من المعاني والتراكيب.

٤- أظهر البحث المصطلحات التي لها علاقة بمصطلح المشكل، وتداولها أهل اللغة وعلماء علوم القرآن، والتفسير والحديث وغيرهم كمصطلح التأويل والغريب والمبهم والمتشابه والمختلف والتناقض والتعارض. وغيرها.

٥- أكد البحث أن وجود الإشكال في القرآن الكريم أمر نسبي؛ فقد يُشكل على عالم مالا يُشكل على الآخر.

ومن أهم التوصيات:

١- دراسة مشكل القرآن عند ابن عرفة في تفسيره دراسة مقارنة مع تفسير الماتريدي لمعرفة مدى تميز النسفي واستفادته من شيخه في هذه المسألة.

٢- . دراسة التفسير بالمأثور عند النسفي.

٣- دراسة المسائل البلاغية واللغوية في تفسير النسفي، لأنه اعتنى بهذا الجانب.

المراجع والمصادر

١. أحكام القرآن.
لأبي الحسن عماد الدين علي بن محمد بن علي الطَّبري، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (ت: ٥٠٤هـ)، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية-بيروت، ط. الثانية، سنة ١٤٠٥ هـ.

٢. أحكام القرآن.
لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، سنة ١٤٠٥ هـ.

٣. أحكام القرآن.
لأبي بكر القاضي محمد بن عبدالله بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط. الثالثة، سنة ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.

٤. أحكام القرآن.
لأبي محمد عبد المنعم بن عبدالرحيم المعروف بابن الفرس الأندلسي (ت: ٥٩٧ هـ)، تحقيق: الجزء الأول: الدكتور طه بن علي بو سريح، والجزء الثاني: الدكتورة منجية بنت الهادي السوايحي، والجزء الثالث: صلاح الدين بو عفيف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ط. الأولى، سنة ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م.

٥. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض.
لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ)، تحقيق: مصطفى السقا-إبراهيم الإبياري-عبدالعظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٣٥٨ هـ-١٩٣٩ م.

٦. أسباب نزول القرآن.
لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، ت: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط. الثانية، سنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٧. الأنساب.
لأبي سعد عبدالكريم التميمي السمعاني المروزي (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبدالرحمن المعلِّمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدر آباد، ط. الأولى، سنة ١٣٨٢هـ-

١٩٦٢م.

٨. الإحاطة في أخبار غرناطة.

لمحمد بن عبدالله السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبدالله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٤ هـ.

٩. الاستيعاب في بيان الأسباب.

لسليم بن عيد الهلالي (و) محمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى، ١٤٢٥ هـ.

١٠. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١١. الأصل-المعروف بالمبسوط.

لأبي عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت: ١٨٩هـ)، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية-كراتشي.

١٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، سنة ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.

١٣. الأعلام.

لخير الدين بن محمود الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط. الخامسة عشرة، سنة ٢٠٠٢م.

١٤. أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن.

لإسماعيل بن يوسف الخزرجي الأنصاري النصري، أبو الوليد، المعروف بابن الأحمر (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٣٩٦ هـ-١٩٧٦ م.

١٥. انبعاث الإسلام في الأندلس.

لعلي بن محمد المنتصر بالله الكتاني (ت: ١٤٢٢هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت – لبنان، ط. الأولى، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.

١٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
لأبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط. الأولى، سنة ١٤١٨ هـ.
١٧. إيجاز البيان عن معاني القرآن.
لأبي القاسم نجم الحسن بن الحسين النيسابوري (ت: نحو ٥٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط. الأولى، سنة ١٤١٥ هـ.
١٨. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل.
لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة (ت: ٧٣٣هـ)، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر-مصر، ط. الأولى، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٩. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون.
لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: ١٣٩٩هـ)، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
٢٠. باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن.
لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن علي النيسابوري الغزنوي، الشهير بـ بيان الحق (ت: بعد ٥٥٣هـ)، تحقيق: سعاد بنت صالح بابقي، جامعة أم القرى-مكة المكرمة، سنة ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.
٢١. البحر المحيط في التفسير.
لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت، سنة ١٤٢٠هـ.
٢٢. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.
لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، الناشر الدكتور حسن عباس زكي-القاهرة، ط. الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
٢٣. البداية والنهاية.

لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ط. الأولى، سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٤. بدائع الفوائد.

لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت.

٢٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.

لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ /جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ/جـ ٦: ١٣٩٣ هـ .

٢٦. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.

لمحمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة – بيروت.

٢٧. البرهان في علوم القرآن.

لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر الزَّركشي (ت: ٧٩٤ه)، تحقيق: محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ودار المعرفة، ط. الأولى.

٢٨. بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة.

لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية– لبنان.

٢٩. بيان المعاني-مرتب حسب ترتيب النزول.

لعبدالقادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي-دمشق، ط. الأولى، سنة ١٣٨٢ هـ-١٩٦٥ م.

٣٠. البيان والتبيين.

لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال-بيروت، سنة ١٤٢٣ هـ.

٣١. تأويل مشكل القرآن.
لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت.
٣٢. التبيان في إعراب القرآن.
لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العُكْبَري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، المكتبة الشاملة.
٣٣. التبيان في أيمان القرآن.
لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبدالله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد-مكة المكرمة، ط. الأولى، سنة ١٤٢٩هـ
٣٤ **التيسير في التفسير للنسفي**؛ يقع في خمسة عشر مجلداً، تحقيق: ماهر أديب حبوش-جمال الفارس-سارية عجلوني-فادي المغربي، الناشر: دار اللباب في-إسطنبول-تركيا، الطبعة: الأولى للكتاب كانت عام: ١٤٤٠ه-٢٠١٩م

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ١٧٥٦
مقدمة ١٧٦٠
مشكلة البحث: ١٧٦١
أهمية البحث: ١٧٦٢
أهداف البحث: ١٧٦٢
الدراسات السابقة: ١٧٦٣
حدود البحث: ١٧٦٥
منهج البحث ١٧٦٥
إجراءات البحث: ١٧٦٥
خطة البحث: ١٧٦٦
التمهيد ١٧٦٨
المطلب الأول: ترجمة موجزة للنسفي ١٧٦٨
أولاً: اسمه ونسبه: ١٧٦٨
ثانيًا: مولده ونشأته: ١٧٦٨
ثالثًا: شيوخه وتلاميذه: ١٧٧٠
رابعًا: عقيدته: ١٧٧٠
خامسًا: مذهبه الفقهي: ١٧٧١
سادسًا: مكانته عند العلماء: ١٧٧١
سابعًا: مؤلفاته: ١٧٧٢
ثامنًا: وفاته: ١٧٧٢
المطلب الثاني: التعريف بتفسيره التيسير، وبيان قيمته العلمية، وفيه: ١٧٧٣
أولاً: اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه: ١٧٧٣
ثانيًا: التعريف بكتاب التيسير في التفسير: ١٧٧٣
ثالثاً: مميزات تفسير التيسير في التفسير، ومنهجه: ١٧٧٣

رابعًا: أسلوبه في التفسير: ١٧٧٥
مشكل التفسير، النشأة والمؤلفات، وفيه: ١٧٨٠
الفصل الأول: منهج النسفي في المشكل والجواب عنه، ١٧٨٥
المبحث الأول: منهج النسفي في عرض المُشكل. ١٧٨٥
المبحث الثاني: منهج النسفي في الجواب عن المشكل. ١٧٩٠
المبحث الثالث: صيغ المشكل عند النسفي. ١٧٩٣
الفصل الثاني: أنواع المشكل عند النسفي في تفسيره ١٧٩٧
الفصل الثالث: القيمة العلمية للمشكل عند النسفي، وتحته ثلاثة مباحث ١٨٠١
المبحث الأول: مزايا المشكل عند النسفي ١٨٠١
المبحث الثاني: المآخذ على المشكل عند النسفي ١٨٠٣
المبحث الثالث: مصادر المشكل عند النسفي ١٨٠٤
الفصل الرابع: مقارنة المشكل عند النسفي مع المشكل عند الواحدي. ١٨٠٥
المبحث الأول: المقارنة بينهما من حيث عدد الإشكالات. ١٨٠٥
المبحث الثاني: المقارنة بينهما من حيث طريقة عرض المشكل ١٨٠٦
المبحث الثالث: المقارنة بينهما من حيث الجواب عنه. ١٨٠٨
المبحث الرابع: المقارنة بينهما من حيث صيغ المشكل. ١٨١٠
المبحث الرابع: المقارنة بينهما من حيث أنواع المشكل. ١٨١٢
القسم الثاني: مشكل القرآن عند النسفي، دراسة تطبيقية ١٨١٣
المسألة الأولى: المشكل في الاستعاذة ١٨١٣
۞ المشكل في سورة الفاتحة ۞ ١٨٢٠
المسألة الثانية ١٨٢٠
المسألة الثالثة ١٨٢٩
المسألة الرابعة ١٨٣٤
المسألة: الخامسة ١٨٤٣
المسألة السادسة ١٨٥٣
الخاتمة ١٨٥٩
المراجع والمصادر ١٨٦٠
فهرس الموضوعات ١٨٦٥